وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: التاريخ

الحركة الإصلاحية بمنطقة الزقم

(1900-1957م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبين:

الحسين خلايفه

عبدالقادر بوترعه

إشراف الأستاذ:

- الإمام بريك

نوقشت المذكرة علنا يوم: 2023/06/07

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة:

اللجنة	الرتبة	الجامعة	الصفة
فاتح باهي	أستاذ محاضر - أ -	جامعة الشهيد حمة لخضر	رئيسا
الإمام بريك	أستاذ مساعد - أ -	جامعة الشهيد حمة لخضر	مشرفا ومقررا
سعيدة عمان	أستاذة محاضرة - ب -	جامعة الشهيد حمة لخضر	ممتحنا

السنة الجامعية : 2023/2022م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم:التاريـخ

الحركة الإصلاحية بمنطقة الزقم

(1900-1957م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر أكاديمي في التاريـخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبين:

الحسين خلايفه

عبدالقادر بوترعه

إشراف الأستاذ:

- الإمام بريك

نوقشت المذكرة علنا يوم: 2023/06/07

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة:

اللجنة	الرتبة	الجامعة	الصفة
فاتح باهي	أستاذ محاضر – أ -	جامعة الشهيد حمة لخضر	رئيسا
الإمام بريك	أستاذ مساعد - أ -	جامعة الشهيد حمة لخضر	مشرفا ومقررا
سعيدة عمان	أستاذة محاضرة – ب -	جامعة الشهيد حمة لخضر	ممتحنا

السنة الجامعية : 2023/2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَى :

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

سورة التوبة : الآيــة 105

شــكر وعــرفان

الشكر والثناء أولا وآخرا لله سبحانه وتعالى على نعمه وفضله الواسع وتوفيقه لنا في إنجاز هذا البحث ، وما دام شكر الناس من شكر الله فإننا نتوجه بجزيل الشكر والعرفان إلى :

في البداية نتقدّم بجزيل الشكر إلى أستاذنا الفاضل : الإمام بريك ، الذّي تفضّل بمهمّة الإشراف على هذا العمل وتوجيهه ، فكان معنا بجهده وعلمه ونصائحه وتصويباته، والتّي كان لها الفضل في إنجاز هذا البحث ، كما نشكره على رحابة صدره وتواضعه مع العلم وأهله .

كما ندعو الله عزّ وجلّ ان يبارك له في أعماله وأن يوفقه في مشواره العلمي وأن يمده بموفور الصحّة والعافية.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذتنا الأفاضل الذين درّسونا ، والذين يشرفون على تأطير طلبة الماستر بجامعة الشهيد حمة لخضر .

كما نتقدم بالشكر للشيخ أحمد منصوري على حسن ضيافته لنا، وسرده للأحداث التي عايشها والتي كانت تخص موضوع بحثنا .

كما نقدم بالشكر إلى كل الهيئات والمؤسسات التي ساعدتنا في انجاز هذا البحث ،خاصة دار الثقافة – محمد الأمين العمودي – بالوادي .

إلى كلّ من قدّم لنا يدا العون من قريب أو من بعيد.

الإهـــداء

إلى رجال هذا الوطن الغالي الذين قدموا عُصارة أفكارهم في سبيل تنوير هذا المجتمع .

إلى الوالدين الكريمين، إلى زوجتي وأبنائي، إلى أخوتي وأخواتي، إلى أصدقائي كل باسمه،أهدي هذا العمل المتواضع .

إلى كل واحد حرص على توفير الظروف المناسبة للعمل البحثي .

إلى كل طالبي العلم والمعرفة .

إلى كل هؤلاء وغيرهم أهدي هذا العمل ، راجيًا من الله أن يتقبله منا ويفيد به كلّ من يطلع عليه ، وأن يجعله في ميزان الحسنات ، آمين يا رب العالمين .

الحسين خــلايفه

الإهـــداء

إلى أرواح كل الشهداء الذين ضحوا بالغالي والنفيس من أجل أن تحيا الجزائر حرّة مستقلة

إلى أرواح المتوفين من العائلة

إلى الوالدين الكريمين اللذين كانا سببا في وجودنا ودافعا لنا لمواصلة السير في درب العلم

إلى إخوتي وأخواتي كل باسمه ، إلى زوجتي وأبنائي الأعزاء ، إلى كل صديق باسمه ،

إلى كل طالب علم ، وكل من حرص على انجاز هذا البحث المتواضع

إلى كل هؤلاء وغيرهم نهدي هذا العمل المتواضع ، الذي نسأل الله أن يتقبله منا ، وأن نستفيد

ونفيد به غيرنا .

وأن يجعله في ميزان الحسنات

عبدالقادر بوترعه

قائمة المختصرات الواردة في هوامش البحث:

المختصر	الدلالة
ط	طبعة
ج	جزء
مج	مجلد
(د،ط)	دون طبعة
تق	تقديم
مر	مراجعة
تح	تحقيق
تع	تعليق
ع	عدد
(د،س،ن)	دون سنة نشر
هـ	هجري
م	ميلادي
س	سنة
ص	صفحة
ص – ص	صفحات
P	Page
op cit	Ouvrage précédemment cité

مقـــدمة

شـهدت الجزائـر مطلـع القـرن العشـرين تحـولات هامـة فـي جميـع المجـالات السياسـية والاجتماعية والثقافية، حيث أدّى انحصار المقاومة الشعبية إلى التفكير العميق لإيجاد حل بديل يتم من خلاله إيصال صوت الشعب إلى أعلى مراكز الادارة الفرنسية، فبدأ النشاط السياسي في شكل إرهاصـات صـحفية وجمعويـة مكوّنـة مـن نشـاطها منبـرا للتعبيـر الصـريح عـن المطلـب الوطني، وبهذا بدأ التيّار الإصلاحي في الظهور من خلال نشاط مجموعة من الرجال، توّج في الأخير بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931م.

وباعتبـار وادي سـوف رقعـة جغرافيـة مـن هـذا الـوطن؛ فقد عرفـت هـي الأخـرى دخـول الأفكار الإصـلاحية مـع مطلـع القرن العشرين، وتجسّدت من خـلال نشاط نخبة محافظة ركّزت على التعليم القرآني كأساس لعملها، هذا وقد كانت وادي سوف مكونة من ثلاث حواضر رئيسية وهي: الوادي وقمار والزقم، هذه الأخيرة التي تعتبر أعرق قرى وادي سوف، حيث كانت الحياة العلميـة فيها منتشرة بقوة بفضـل نشـاط شيوخها المتواصـل فـي المساجد والزوايا، ومن هنـا جاء عنوان هذه المذكرة: **الحركة الإصلاحية بمنطقة الزقم (1900- 1957م).**

❖ **دوافع اختيار الموضوع:**

كان وراء اختيارنا لهذا الموضوع مجموعة من الدوافع أهمها:

- رغبة البحث في التاريخ المحلي السوفي من خلال تغطية جانب من جوانبه التاريخية المضيئة.
- محاولة دراسة الحركة الاصلاحية بعمق في واحدة من حواضر وادي سوف.
- محاولة إبراز دور هؤلاء الرجال في مجال الإصلاح الديني والاجتماعي والثقافي.

❖ **إشكالية البحث:**

تتمثل إشكالية الموضوع أساسا في التساؤل الرئيسي التالي:

كيف كان واقع الحركة الإصلاحية في منطقة الزقم وكيف تطورت؟ وما دورها في ترسيخ الهوية الاسلامية والروح الوطنية في المجتمع المحلي خلال الفترة الاستعمارية (1900-1957م)؟.

ولا يمكن معرفة ذلك حسب وجهة نظرنا إلاّ إذا أجبنا عن التساؤلات الفرعية الآتية:

- كيف كانت الحالة الثقافية لمجتمع وادي سوف مطلع القرن العشرين؟
- ماهي أبرز العوامل التي ساهمت في دخول حركة الإصلاح إلى المنطقة؟
- ماهي أبرز الشخصيات الإصلاحية وميادين النشاط المختلفة؟
- كيف تطورت هذه الحركة خاصة بعد زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين؟
- ماهي النتائج التي جناها سكان القرية من هذه الحركة؟
- ما مدى مساهمتها في الدفاع عن مصالح السكان وهويتهم ، ودورها في النشاط الوطني ؟

❖ **أهداف الدراسة:**

ومن خلال هذه المذكرة نسعى جاهدين إلى بلوغ مجموعة أهداف أهمها:

- تسليط الضوء على أحد جوانب التاريخ المحلي وهو الجانب الإصلاحي بما يحتويه من علم وثقافة ودين.
- إضافة عمل أكاديمي للمكتبة المحلية يكون مساعدا للطلبة والباحثين مستقبلا.
- إبراز دور شيوخ وعلماء بلدة الزقم في الحياة العلمية والحركة الإصلاحية بوادي سوف.

❖ **حدود البحث:**

وبخصوص تحديد الفترة الزمنية للدراسة ما بين (1900- 1957 م)، فذلك راجع إلى عدة اعتبارات أهمها:

- تعد سنة 1900م مطلع القرن العشرين، وهي بداية استفاقة فكرية وسياسية في الجزائر عامة، ونتيجة لذلك دخلت هذه الأفكار الإصلاحية لوادي سوف عامة وقرية الزقم خاصة، كما تعدّ هذه السنة هي تاريخ ميلاد لبعض الشخصيات الإصلاحية بالزقم، وكذلك بداية نشاط شخصيات أخرى.
- أما سنة 1957م فهي سنة ذكرى مجازر رمضان الأليمة التي وقعت بالمنطقة (الزقم)، والتي وضعت حدا للنشاط الإصلاحي العلني بقرية الزقم، وذلك من خلال استشهاد أعمدة الإصلاح وهما الشيخ معمري عبدالرحمان والشيخ إبراهيم كلكامي.

❖ **مناهج البحث:**

ولدراسة هذا الموضوع اعتمدنا على المنهج التاريخي الذي يهتم بتتبع الأحداث وتقديم وصف شامل عنها، كما يعطينا السياق الزمني الرابط بين الماضي والحاضر، كذلك المنهج الوصفي الذي يساهم في إعطاء معرفة تفصيلية انطلاقا من وصف الأحداث وسردها وجمع المعلومات عنها ، كما اعتمدنا أيضا على المنهج التحليلي الذي يهتم بالبحث عن الأسباب والنتائج وإعطاء التفسيرات ودراسة العوامل المؤثرة ومجالات التأثير ثمّ تحليلها تحليلا موضوعيا.

❖ **الدراسات السابقة:**

وبخصوص الدراسات السابقة؛ فيمكن القول بأنها على قلتها في هذا المجال، فإنها تناولت الجانب الإصلاحي لوادي سوف بشكل عام، وهذا ما يجعل الموضوع لبنة جديدة ومتعمقة في دراسة منطقة من مناطق وادي سوف، وهذه الدراسات يمكن حصرها فيما يلي:

- دراسة الأستاذ موسى بن موسى: الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها 1900-1939م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2005-2006م.
- دراسة الأستاذة سعيدة عمان: التربية والتعليم بوادي سوف 1900-1960م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2008-2009م.
- دراسة الطالبة حنان مسعودي: الحركة الإصلاحية بوادي سوف 1918- 1956م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، جامعة بسكرة، 2014-2015م.

❖ **تقسيم الدراسة:**

أما بخصوص الخطة المعتمدة لإنجاز هذه المذكرة؛ فهي تحتوي على فصل تمهيدي وثلاثة فصول، حيث أنّ كل فصل يحتوي على عناصر تفصيلية مع مراعاة ترتيب الفصول زمنيا وموضوعيا.

تضمن الفصل التمهيدي الإطار التاريخي والإطار الجغرافي لمنطقة الزقم من خلال تسليط الضوء على عمارة بني عدوان للمنطقة وأصل تسميتها وأهمّ العشائر المكوّنة لنسيجها العمراني، كذلك إعطاء لمحة جغرافية عن المنطقة.

أمّا الفصل الأول فقد كان مخصصا لمعرفة الوضع الثقافي في وادي سوف مطلع القرن العشرين، بدءا بالطرق الصوفية وانتشارها في وادي سوف ونشاط شيوخها وزواياها، مرورا بالمساجد والمكتبات وما لعبته من دور في حركة التعليم وإثراء الرصيد الثقافي بالمنطقة، وكذلك دور المدارس العصرية في تطوير التعليم، ثمّ التعليم الفرنسي ودخوله للمنطقة.

أمّا الفصل الثاني فقد خصصناه للحركة الإصلاحية المحافظة بقرية الزقم، بدءا بالعوامل المساهمة في دخول الإصلاح، مرورا بالشخصيات التي مثّلت ركيزة العمل الإصلاحي، ثم أهّم الميادين التي نشطت من خلالها حركة الإصلاح.

أمّا الفصل الثالث فقد تناولنا فيه تطور الحركة الإصلاحية في منطقة الزقم، بدءا بزيارة وفد جمعية العلماء المسلمين، وما خلفته هذه الزيارة من آثار إيجابية على واقع الحركة الإصلاحية، مرورا بفاجعة حوادث أفريل 1938م وانعكاساتها على المنطقة، ثمّ تأسيس مدرسة الإصلاح ودورها الريادي ، ثم عرّجنا على التعليم الفرنسي بالزقم وموقف الأهالي منه، وختمنا الفصل بالدور الذي لعبه رجال الإصلاح بالمنطقة في دعم النشاط الوطني.

أمّا الخاتمة فقد جاءت مركزة في شكل نقاط، وهي عبارة عن أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال تسليط الضوء على مختلف جوانب الدراسة، محاولين الإجابة قدر الإمكان عن الإشكاليات المطروحة.

❖ **أهم مصادر ومراجع البحث:**

بخصوص مصادر ومراجع البحث فقد كانت متنوعة إلى حد بعيد، حيث نذكر أهمها:

الصنف الأول: المصادر المكتوبةمثل تاريخ العدواني، وكتاب الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، وكذلك مذكرات محمد خير الدين وأعداد خاصة من جريدة البصائر.

الصنف الثاني: المصادر الشفوية، حيث كان لنا لقاء مع الشيخ أحمد منصوري أحد تلاميذ مدرسة الإصلاح.

الصنف الثالث: المراجع المكتوبة، ومن أهمها تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعدالله، وكتاب أضواء على بلدة الزقم التاريخية لشوقي بوليفة، وكذلك أعلام من سوف لسعد العمامرة وأحمد منصوري، وفصول ودراسات في تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية لعلي غنابزية.

الصنف الرابع: وشمل المقالات والملتقيات والبحوث المطبوعة وغير المطبوعة، وأهمها: مدرسة الإصلاح بحاضرة الزقم لمختار قديري، ومحاضرات الملتقى الوطني الأول حول الهوية

الصوفية وواقعها المعاصر الذي عقد يومي 29-30مارس 2015م بقاعة مكتبة بلدية حاسي خليفة ، وكذلك بحث حول اللّجة أم القرى بسوف للمولدي صيشي .

الصنف الخامس: الرسائل الجامعية من أهمها مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية ، مذكرة ماجستير لعلي غنابزية ، وكذلك الحياة العلمية لوادي سوف وعلاقتها بتونس للزبير بن بردي .

❖ **صعوبات البحث:**

وقد واجهتنا بعض الصعوبات أثناء عملية البحث نذكر منها:

- قصر المدة الزمنية خاصة وأنّ هذا البحث مخصص لإطار مكاني ضيق، وهو ما يزيد صعوبته.
- عدم وفرة المعلومة ممّا يجبرنا على التحليل واستخلاص النتائج والوقائع.
- الوقت الكثير الذي استغرقناه أثناء جمع المادة العلمية، وهذا هو شأن المواضيع المحلية .

وأخيرا قد اجتهدنا من أجل تقديم عمل أكاديمي يكون الطالب مساهما فيه بجهده وأسلوبه الخاص، رغم ما يمكن أن يعتريه من نقصان، كما نتمنى أن تحقق هذه الدراسة شيئا من الأهداف المسطرة لها، كما نشكر كل من ساهم معنا في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد، كما نعتذر على كل خطأ في هذه الدراسة، حيث أنّها طبيعة البشر وخاصة في مجال البحث العلمي والتاريخي خاصة.

والله ولي التوفيق

وادي سوف في: 13 ماي 2023م

الفصل التمهيدي:

الإطار التاريخي والجغرافي

لمنطقة الزقم

أولا – الإطارالتاريخي.

ثانيا– الإطار الجغرافي للمنطقة.

أولا- الإطار التاريخي:

تعتبر منطقة الزقم منطقة عريقة من حيث الامتداد التاريخي، كما أنها أول قرى منطقة وادي سوف من حيث التأسيس، وهذا ما سوف نتحدث عنه في هذا الفصل .

1- استقرار قبيلة عدوان بأرض سوف: عدوان هو من قبيلة مخزوم التي هي قبيلة خالد بن الوليد ، تخلف عن جيش الفاتحين الذي فتح افريقية زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، حيث تزوج من امرأة عربية فولدت له عشرين ولدا في خمسة عشرا بطنا، ركبوا الخيول وكثر عددهم وأولادهم وهو حي، وملك من الإبل والغنم الشيء الكثير وقام في الناس من كل جانب[1] .

وبعد أن كان آل عدوان مع قبائل بني هلال وسليم بنواحي الكاف والقيروان ، وضاقت عليهم المجالات لكثرة عددهم، حيث كانوا أمة عظيمة، فانتقل بعضهم يرتادون الفلوات من مكان إلى أخر حتى وصلوا إلى وادي الجردانية، الذي أعجبهم فرغبوا في السكن فيه مع باقي السكان الأصليين (البربر)، حيث وقع قتال بين الطرفين كان النصر في النهاية حليف عدوان وكان ذلك في حدود سنة 1204م/600 هـ[2].

وبقي بنو عدوان يتزايدون، حيث كثر عددهم بمنطقة وادي سوف الواسعة حتى أصبحوا حوالي أربعة وعشرين قبيلة، ينتشرون بين الزاب شمالا ، والجريد شرقا ووادي ريغ غربا

1 – محمد بن عمر العدواني : **تاريخ العدواني** ، تح: أبوالقاسم سعدالله ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط1 ،1996،ص 90.

2 – إبراهيم محمد الساسي العوامر : **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف** ، تع: الجيلاني العوامر ، منشورات ثالة ، الأبيار ، الجزائر ،2007 ، ص 175.

وطرابلس جنوبا، وقد كانت لهم ثروة عظيمة من الإبل والغنم والماعز والخيل، حيث قويت شوكتهم بالمال والولد، الشيء الذي ساهم في ازديان حياتهم المعيشية[1] .

2- قصور قبيلة عدوان بالجردانية: الجردانية هي عبارة عن أرض خصبة، بها وادي جاري تمركزت عنده قبيلة عدوان بمسافة 20 كلم شمال شرقي الوادي، وبعد عمارتها أصبح يقال لها قصور الرهبان، ثمّ قصور النازية، ثمّ قصور عدوان السبعة بوادي الجردانية، و هي خلاف قصورها السبعة التي شيدتها بعد ذلك بأرض سوف.

قال محمد الساسي معامير:" بل إن العمارة الأولى كانت بقصور عدوان بالنازية التي هي شمالنا بنحو ثلاث مراحل، وتعرف بقصور الرهبان، وذلك بسبب إقامة سبعة من الرهبان، فيها ثلاثة من و غلانة واثنان من جهلمة وواحد من بادس وآخر من تهودة، وهكذا بقي العدوانيون بها يقضون الشتاء والربيع بوادي ريغ والصيف بالزاب والخريف بالجريد، ثم نزحوا إلى سوف "[2].

3- قصور قبيلة عدوان بوادي سوف ونقباؤها: جاء في كتاب الشيخ العدواني المخطوط أن قصور عدوان بأرض سوف سبعة وهي: قراها العامرة بني عدوان، ولكل قصر نقيب عليها، وأول قصر وهو اللّجة ونقيباها كل من السيدين : عمارة الساسي و العياط بن أبي بكر، ثم تغزوت ونقباؤها السادة: مبارك بشريط، بشير بشريط ، وأبو عزيز، أما عن كوينين فنقيبها هو السيد : جبنون بن سالم بن موسى، أما الغديرة الوسطى والسفلى فلم يذكر لهما نقيب، أما قصر قائد فنقيبه السيد قاسم بن عمارة بن معمر بن صالح الأكبر الزناتي، وقصر

1 – أحمد بن الطاهر منصوري : **الدر المرصوف في تاريخ سوف** ،ج1، مكتبة البصائر ، 2000، ص 11.

2 – أحمد شوقي بوليفة : **أضواء على بلدة الزقم التاريخية ما بين القرن 12 والقرن 20** ، مديرية الثقافة لولاية الوادي ، 2013، ص 16.

حمد نقيبه السيد عبدالله بن خليفة بن مسلم العرباضي القريشي، وكان رئيس هؤلاء النقباء هو محمد بن محمد بن عمر العدواني اللجي، حيث عينه شيخه البكري وارتضوه رئيسا عليهم[1].

وهكذا تكون منطقة الزقم هي أول مكان تم تأسيسه من قبل بني عدوان عند نزولهم بأرض سوف وكان ذلك في حدود عام 1277 م/ 665 هـ .

وفيما يلي نورد بعض الأقوال التي تؤكد على أن الزقم هي أقدم قرى وادي سوف:

- يقول العوامر : " إن ترتيب العمران بسوف كان على خلاف ما تقدم وهو أن أول ما تقرر من القرى : الزقم لوجود آل عدوان بالمكان منذ القديم ".[2]

- يقول أندري فوازان:"وجِدت أي ظهرت للعيان قرية الزقم قبل كل المراكز السكنية الأخرى".

- يقول الشيخ أحمد منصوري :" لقد اتفقت جميع الكتابات والمراجع التي أرخت لسوفعلى أن الزقم هي أقدم قرى وادي سوف وكان ذلك في حدود 1277م / 665 هـ ".

4- تسمية المنطقة:

لقد أطلقت عدة تسميات على منطقة الزقم قبل استقرارها عند هذه التسمية، وفيما يلي سنذكر أصل التسميات واحدة تلو الأخرى كما يلي:

4-أ- قصور عدوان: الكلمة مركبة من كلمتين، إذا أطلقت تعنى القرى السبعة التي عمرّها بنو عدوان ، وإذا قيدّت و قيل قصر عدوان أو أول قصور عدوان بسوف فهي اللّجة (المنعة).

- القصر هو ما شيد وعلا من المنازل.

1 - أحمد منصوري : **المرجع السابق** ، ص 12 .

2 - أحمد شوقي بوليفة : **المرجع السابق** ، ص 16 .

– وقيل البرج وقيل القرية بتمامها.

وعلى هذا الأساس سميت الزقم بقصر عدوان أو قصور عدوان لأنها أول قرية بنيت بتمامها على أرض سوف.

– وقيل لأنها كانت شبيهة بقصور النازية بالجردانية[1].

4– ب – اللّجة: بضم اللام جمعها لجج و هي من لجة الماء.

– وقيل مشتقة من اللاّج وهو البحث و التلويح.

– وقيل مشتقة من الملجأ لأن الهارب أول ما تمنعه.

فإذا سبب تسمية الزقم باللّجة هو وجود لجج الماء هناك وقيل لأنها كانت مغطاة بالماء (الغديرات) و كلها أقوال معلومة.

4–جـ الزقم (بلدة الزقّام): سميت بعد وفاة العدواني بلدة الزقام نسبة إلى الولي الصالح الزقام عمارة بن محمد اللّجي.

– من الزقام إلى الزقم وهو الاسم الذي تفاعل معه الناس وارتضوه على ممر السنين إلى أن أصبح هو الاسم العلم بعد تسمية اللّجة.

أقوال أخرى:

– قيل لأنه أتاها أناس من بني يزقن أي من ميزاب فسموها باسم بلدهم[2].

1 – أحمد شوقي بوليفة : **المرجع السابق** ،، ص 18.

2 – **نفسه** ، 19 .

– وقيل أن عدوان كانوا يأكلون التمر النفطي بالزبدة وهذا سمي الزقم فسمى المحل بذلك[1].

– وقيل أنها سميت بالزقم لأنها تسمية بربرية قديمة و هي مكان مفترق الطرق[2].

أما الراجح حسب الشيخ أحمد منصوري أنّ الزقم هو اسم رجل صالح عابد رفيق الشيخ العدواني وهو الزقام لما مات سميت القرية التي كانت تسمى باللجة باسمه حتى الآن وبكثرة الاستعمال حذفت الألف فصار الاسم(الزقم) بدل من الزقام[3].

5– سكان الزقم: إن قبائل عدوان تقدر بحوالي 24 قبيلة تجتمع كلها في خمسة قبائل كبرى و هي: أولاد عبد الرحمان، أولاد السائب ، أولاد سارة، أولاد محبوب، أولاد حامد ، والذين سكنوا الزقم هم أولاد حامد و هم موسى و نصر و أمهم من نفطة ، و بعد وفاتها تزوج حامد من رقية المجورية فولدت له ابنا سماه محمد فاستقروا في الزقم ، وعنهم تفرعت التركيبة السكانية للزقم، فسكان اللجة كلهم أولاد حامد العدواني ، والبعض الأخر قليل من العدوانيين النازحين من قصور عدوان الأخرى سنة1398م / 800 هـ.

فالزقم هي القرية الوحيدة العامرة إلى وقتنا هذا بالعدوانيين دون سواهم[4].

وكان إلى جانبها قريتان اثنتان بالجهة الشمالية الشرقية منها إحداهما تسمى الرقوبة ولأخرى تسمى سيدي خضير فخربتا وانتقل أصحابهما إلى المكان المعروف الآن، وأهل الزقم في هذا العهد يتألفون من ست عمائر منها الأصليات ومنها الملحقات.

❖ **العميرة الأولى: بنو الخضراء:** هم أولاد موسى و منصور والمقداد أبناء نصر نسبوا

1 – بن سالم بالهادف : **سوف تاريخ وثقافة** ، مطبعة الوليد ، 2007، ص 24.

2 – أحمد شوقي بوليفة ، **المرجع نفسه** ، ص 20.

3 – أحمد منصوري : **المرجع السابق** ، ص 57.

4 – المولدي صيشي : **اللجة أم القرى بسوف** ، (د، ط) ، ص 37.

إلى القرية (أي قرية سيدي خضير) الواقعة قرب قرية الرقوبة[1].

❖ **العميرة الثانيـة: أولاد حامـد:** قيل إنهم ينتسبون إلـى حامد أخ أحمد جد قبيلـة أولاد أحمد[2]، فيكونون حينئذ طروديين وإخوة لأولاد أحمد الذين هم بالوادي، وقيل نسبة إلى حامد أخر أجدادهم. ويذكرون أن جدّهم حامد هذا بعد أن استقر بالزقم ترك ذريته بها ورجع بزوجته إلى ناحية الميته حيث كان محبا للبادية إلى أن مات بها[3].

وينقسم أولاد حامد إلى أربع فصائل هي:

o **الفصيلة الأولـى: أولاد محمـد:**يرتفع نسبهم إلـى سليمان بن عبد الرحمان بن سالم بن يوسف بن صالح بن حامد.

o **الفصيلة الثانية: أولاد نصر:** ويتصل نسبهم حسب ذكرهم بأولاد الهامل بن صالح بن حامد المذكور.

o **الفصيلة الثالثة: الشحميات:** لم يذكر آباؤهم وأجدادهم المتصلين بحامد.

o **الفصيلة الرابعـة: الأعواف:** اختلف فيهم لمن ينتسبون و الراجح حسب قول قدمائهم أنهم إخوة بني حامد[4].

❖ **العميـرة الثالثـة: أولاد شـوية:** اختلف في معرفة جدهم الأول الذي ينتسبون إليه، ويقول الشيخ أحمد منصوري حدثني والدي أنّهم ينسبون إلى محمد شوية بن الزقّام الذي تحمل البلدة اسمه، و ينقسمون إلى أربعة فصائل هي:

o الفصيلة الأولى: أولاد ونيس.

1 – المولدي صيشي : **المرجع السابق** ، ص 41.

2 – بن سالم بالهادف : **المرجع السابق** ، ص 55.

3 – أحمد منصوري : **المرجع السابق** ، ص 98.

4 – إبراهيم العوامر : **المصدر السابق** ، ص 396.

- الفصيلة الثانية: أولاد منصور.
- الفصيلة الثالثة: أولاد سيدي سالم.
- الفصيلة الرابعة: أولاد الحاج و معهم بيتان من العيايطة البهميين (نسبة إلى قرية البهيمة) ،و هما أولاد عيشة و أولاد العروسي[1].

❖ **العميرة الرابعة : الشواوي** :يذكر البعض أن سبب التسمية يعود إلى ما وقع بين أهل بلدة الزقم والنمامشة من مناوشات في شأن امرأة شاوية أخذت بالغصب واستقر أمرها إلى الزواج من أحد الفضلاء ويقال له سيدي الحاج محمد، حيث ولدت عدة أولاد انتسبوا لها، ولغرابة الحادثة أصبح يقال لهم أبناء الشاوية ثم الشواوي[2].

❖ **العميرة الخامسة : أولا سعيدان** :يقال أنهم ينسبون إلى أمهم سعيدة التي عادت من الدبيلة إلى قرية الزقم .

وهناك من يقول بأن أصلهم من أولاد حميدة الذين هم بأعشاش الوادي ، والذين سكنوا الدبيلة زمنا، وحين أتى الشيخ فرحات وخرب نصفها الغربي انتقلوا إلى الزقم واستوطنوها وهم بها قليلون وأكثرهم لا يعرفون آباءهم لأنّهم ماتوا بالدبيلة في تلك الواقعة[3].

❖ **العميرة السادسة : بنو عصام** :أصلهم من مصاعبة الوادي، حيث يصل نسبهم ببني مناع الذين هم من قبيلة شبابطة الوادي ، ومعهم أولاد حمد بن معمر إخوة أولاد سيدي عبدالله الذي هو في أعشاش الوادي، كما التحق بهم قوم الكواكة يصل نسبهم بدريد، إذ جدّهم أتى من هناك مع أهل الوادي حين أتوا من تلك الناحية، فعلى هذا يكون مجيئه متأخرا حيث تصاهر

1 – أحمد منصوري : **المرجع السابق** ، ص 99.

2 – المولدي صيشي : **المرجع السابق** ، ص 41.

3 –الجباري عثماني: **منظومة التسمية في مجتمع وادي سوف خلال الفترة(1882–1937م)**،مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ،ع 4 ،جامعة الوادي ،2014، ص 193 .

مع الشواوي ، فصار في عديدهم، وهذه العميرة هناك من يدمجها مع الشواوي وهناك من يجعلها لوحدها[1] .

ثانيا- الإطار الجغرافي للمنطقة :

1- **موقع الزقم:**[2] تقع الزقّم (اللّجة) وهي أول قصور عدوان في منخفض على مشارف غدران* نيلية متجددة وتحصينات طبيعية وعرة جعلت من المنطقة المنيعة التي يقصدها الهارب، وهي اليوم تقع شمال مدينة الوادي عاصمة سوف[3].

- يقول العوامر إبراهيم: " موضع الزقم الآن هو المحل الذي نزل فيه بنو عدوان وهو بين الطريفاوي والمرتوم، على بعد سبعة أميال من الوادي"[4].

أما عن حدود منطقة الزقم، فلم تكن في بداية عمارتها في ذلك الوقت حدود أو سكان، بل كانت أرض براح والنيل يجري على أرضها، كما عرّفها العدواني .

- قال محمد الساسي معامير :" إنّ بلدنا الزقم يعتبر من لواحق وادي سوف وهي واحة واقعة بالجنوب الشرقي من جريد قسنطينة، وهذه النقطة الصحراوية وما حولها من وادي ريغ، وورجلان وعين صالح ، إذ هي أوطان مرتبطة بنا جغرافيا و اقتصاديا وسياسيا "[5].

و قال الشيخ مسعود معمري :" وبعد عمارة سوف أصبح يحد الزقم بلديات ومداشر من جميع النواحي وهي كالآتي :

---

1 - إبراهيم العوامر ، **المصدرالسابق** ، ص 397.

2 - ينظر الملحق رقم -01- .

* غدران: جمع غديرة وهي مستنقع الماء الذي يغادره ماء السيل . ينظر: جمال الدين بن منظور: لسان العرب ، ج 6، الدار المصرية ، (د ، س ، ن)، ص 312.

3-أحمد شوقي بوليفة : **المرجع السابق** ، ص 22.

4 - إبراهيم العوامر : **المصدر السابق** ، ص 44.

5 - أحمد شوقي بوليفة : **المرجع نفسه** ، ص 22.

- من الشمال: تحدها بلدية الدبيلة.
- من الشمال الغربي : تحدها الذكار.
- من الغرب : تحدها البهيمة والغربية وكوينين .
- من الجنوب : تحدها الوادي.
- من الشرق : تحدها تونس.

من الغرب : تحدها الذكار.

2- التضاريس :يحيط بالزقم عدة غيطان، أهمها غوط عمار وهو أول غوط بالمنطقة، وينسب للسيد عمار البغدادي الذي يعتبر أول من غرس النخيل بالمنطقة، وهناك غيطان أخرى مثل :غوط سالم و غوط دقدق من الغرب، ومن الشمال غوط باسة وغوط الغولية، ومن الشرق غوط عمار ومن الجنوب غوط جراد[1].

كما تتميز المنطقة بوجود الكثبان الرملية وهي السيوف وكذلك العروق ، هذا بالإضافة إلى وجود الأراضي الشاسعة والمنبسطة التي تسمى بالصحون[2].

1 - أحمدشوقي بوليفة : **المرجع السابق**، ص 24 .

2 - **نفسه** ، ص 25 .

الفصل الأول:

الوضع الثقافي في منطقة وادي سوف مطلع القرن العشرين

أولا – الطرق الصوفية.

ثانيا– المساجد والمكتبات.

ثالثا – التعليم في وادي سوف.

عرفت منطقة وادي سوف وضعا ثقافيا متنوعا خلال هذه الفترة، وهو ما جسّدته الطرق الصوفية ذات الانتشار الواسع في ربوع المنطقة من قادرية وتجّانية و رحمانية وغيرها، والدور الذي لعبته المساجد والمكتبات، وكذلك حركة التعليم بنوعيه العربي والفرنسي.

أولا- الطرق الصوفية:

1- الطريقة القادرية :هي أقدم الطرق الصوفية في العالم الإسلامي، كما تعد أقدم الطرق دخولا إلى الجزائر، حيث يعود أصل تسميتها إلى مؤسسها عبدالقادر الجيلاني (1077م- 1166 م) [1]،وكان دخولها إلى أرض الجزائر مبكرا على يد أبي مدين شعيب دفين تلمسان، عندما التقى بعبدالقادر الجيلاني في الحرم الشريف، وكان ذلك عبر تونس ومنها إلى وادي سوف منذ القرن السادس هجري [2].

لقد بدأ العمل الفعلي للزاوية القادرية بأرض سوف خلال القرن التاسع عشر من قبل عائلة الشريف التي تسكن الجريد التونسي، ولقد شيّد النواة الأولى للطريقة القادرية بوادي سوف الشيخ إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عطية الشريف، الذي امتدت حياته بين (1813م- 1875م)، وذلك بعد تأسيس الزاوية القادرية بنفطة ليتجه إلى الجزائر ليضع حجر الأساس لزاوية عميش بوادي سوف، وهذا قد تلقى مبادئ التصوف في زاوية توزر على يد الشيخ بوبكر بن أحمد بن عبدالله الشريف[3].

---

1 - عبدالقادر زبادية : **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين** ، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون ، الجزائر ، 2010م، ص 230.

2- جمعية التراث للتواصل الثقافية بحي الهمايسة : **محاضرات الملتقى الوطني الأول حول " الهوية الصوفية وواقعهاالمعاصر** " ، 30/29 مارس 2015 ، مكتبة البلدية ، حاسي خليفة ، ص 92 .

3 - الزبير بن بردي : **الحياة العلمية في منطقة وادي سوف وعلاقتها بتونس (1317- 1358 هـ / 1900-1939م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص الاستعمار وحركات التحرر في إفريقيا بين القرنين 15 و20 م ، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية ، أدرار ، 2014/2013 م ، ص 84.

ورغم وصول الطريقة القادرية المتأخر للمنطقة إلاّ أنها حظيت بدعم كبير من طرف الجماهير، والجدول التالي يبين تطور عدد مريديها بوادي سوف حسب الأعراش :

الأعراش	الأعشاش	أولاد سعود	المصاعبة	قمار	البهيمة /الدبيلة	المجموع
1892	350	185	500	45	120	1200
1945	5000	1500	7000	200	500	14200

جدول تطور أتباع الطريقة القادرية في أعراش سوف ما بين 1892-1945م[1].

ومن خلال الجدول يلاحظ الزيادة الكبيرة في تعداد مريدي الطريقة القادرية في سوف، فمن 7% من تعداد سكان المنطقة عام 1892م إلى 14%سنة 1945م.

ولقد كان للشيخ الهاشمي شخصية قوية ما جعله محل مراقبة من طرف الفرنسيين، وبعد وفاته وقع الاختيار على عبد العزيز الابن الثالث لكونه حاصل على شهادة التطويع من الزيتونة، هذا وقد كانت العلاقة مع فرنسا علاقة عداء خاصة بعد تحول عبدالعزيز الشريف إلى الدعوة الإصلاحية [2].

2- الطريقة التجانية : تنسب إلى أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم، المكنى بالتجاني نسبة إلى قبيلة أخواله بنو توجين[3]، ولد سنة 1737 م بقرية عين ماضي، فنشأ في بيت علم وتقوى وعفاف، انتقل إلى فاس فأخذ ورد الطريقة القادرية والطيبية،

1- عثمان زقب : **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918- 1947م وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2006/2005م ، ص 195.

2 - **نفسه** ، ص 196.

3 - عبدالباقي مفتاح : **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه** ، تق: عبدالرحمان طالب ، الوليد للنشر ، كونين ، الوادي ، 1987م ، ص 28 .

وبعد عودته إلى الجزائر استقر بالأبيض سيدي الشيخ ثم تلمسان[1]، بعدها انتقل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ليعود بعدها إلى تلمسان في قصر بوسمغون، حيث أخذ في نشر طريقته وهو في عمر الخامسة والأربعين، لكن مضايقات الحكم العثماني وبايات الغرب جعلته ينتقل إلى فاس سنة 1795م، وبقى هناك إلى أن لقي ربه في سنة 1815م، فأخذت الطريقة بعده في الانتشار بإقامة الزوايا وتعيين المقدمين منها زاوية فاس 1799م ، وتقوم تعاليمها على البساطة، انتشرت في معظم جهات الوطن ، وكما انتشرت في إفريقيا جنوب الصحراء، أما في الجزائر فإن لها عديد الزوايا زاوية قمار سنة 1789م وزاوية تماسين 1805م وزاوية عين ماضي و تغزوت وغيرها من الزوايا [2].

3- الطريقة الرحمانية (العزوزية): تنسب إلى الشيخ محمد بن عبدالرحمان الأزهري الجرجري (1720م-1793م)، الذي ولد في جبال جرجرة[3]، انتشرت هذه الطريقة في ربوع وادي سوف عن طريق الشيخ سالم بن محمد بن إمحمد (1768م-1860م) ، المولود بوادي سوف، والذي أخذ الطريقة من الشيخ محمد بن عزوز البرجي الذي زار وادي سوف سنة 1800م، حيث نصبت له خيمة وبقي فيها مدة خمسة أيام ينشر الطريقة وتعاليمها، ثم جدد أخذها من خليفته الأكبر الشيخ علي بن عمر الطولقي، الذي كلفه بفتح زاوية بالوادي لتكون مقرا للتربية الروحية، وكان كثير الزيارة هو وأبناءه للشيخ مصطفى بن عزوز مؤسس زاوية نفطة، وبعد وفاة الشيخ سالم بن محمد تولى ابنه مصباح شؤون الزاوية وعمل على نشر تعاليم الطريقة في ربوع وادي سوف مثل الزقم وكوينين وقمار، كما لعبت الزاوية دورا هاما في تعليم القرآن الكريم، والمبادئ الأولية

1 - علي حرازم : جواهر **المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس أحمد التجاني** ، دار سالم الحبيب للنشر ، تغزوت ، الوادي ، 2009، ص 25 .

2 - جمعية التراث للتواصل الثقافي : **المرجع السابق** ، ص - ص 98 - 99 .

3 - عبدالباقي مفتاح : **المرجع السابق** ، ص 16.

لعلوم الدين واللغة العربية حتى يكون الطلبة مؤهلين للالتحاق بالزيتونة[1]، وكانت لها علاقات حسنة مع الطرق الصوفية الأخرى مثل التجانية والقادرية، والدليل على ذلك الزيارات المتبادلة مع الحاج علي التماسيني شيخ زاوية تماسين[2].

ثانيا- المساجد والمكتبات:

1- المساجد: لقد بقيت ظاهرة تشييد المساجد على الدوام مرتبطة بالحياة الدينية للمجتمع السوفي منذ زمن بعيد، حيث كان مسجد العدواني الذي قيل أنه بني منذ ثمانية قرون، لتنشط حركة تشييد المساجد على يد شيوخ الشابية منذ بداية القرن السابع عشر ميلادي، مثل مسجد مسعود الشابي بالوادي سنة 1600م، وهكذا استمر السعي وراء إنشاء المساجد حتى وصلت نهاية القرن الثامن عشر حوالي عشرين مسجدا، وتتميز هذه المساجد بالبساطة في بناءها حيث يغلب عليها الطابع المحلي في العمران[3].

أما في القرن التاسع عشر ميلادي ،فقد شهدت حركة بناء المساجد انتشارا واسعا، وذلك من خلال تشييد حوالي ستة عشر مسجدا، نصفها في الوادي ونصفها الثاني متفرقا عبر قرى و مداشر وادي سوف، وتحتل قمار المرتبة الثانية من حيث عدد المساجد، حوالي أربعة مساجد وقد بلغ عدد المساجد في المنطقة نهاية القرن التاسع عشر ميلادي حوالي ستة وثلاثين مسجدا[4]، ليتضاعف هذا العدد خلال النصف الأول من القرن العشرين، ومرد ذلك إلى التنافس بين الطرق الصوفية بالوادي، إذ كنت كل طريقة تُؤسس لنفسها مسجدا قرب زاويتها ، مما أدّى

---

1 – الإمام بريك : **الثورة الجزائرية في وادي سوف 1954- 1962 م** ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة 08 ماي 1945 ، قالمة ، 2014/2013 م ، ص 71.

2 – بن سالم بالهادف : **المرجع السابق** ، ص 77 .

3 – موسى بن موسى : **الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها 1900-1939 م** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2005-2006 م ، ص 93.

4 – علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13 هـ / 19 م** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر ، 2001-2002م ، ص 173.

إلى ظهور العديد من المساجد التابعة للطرق الصوفية كمسجد سيدي سالم بالزاوية العزوزية بالوادي ، والذي أُسس حوالي 1830م ، ومسجد الزاوية التجانية بقمار الذي بناه الشيخ " محمد العيد التماسيني" سنة 1845م ، و مسجد زاوية الشيخ "محمد الإمام" القادرية بالرباح ، ومسجد الشيخ "الهاشمي الشريف" بزاوية عميش ، ومسجد سيدي بوعلي التابع للزاوية البوعلية بأولاد حمد 1890م بالوادي ، ومسجد الحسيني التابع للزاوية العزوزية بالأعشاش[1].

كما صاحب استقرار الكثير من البدو الرحل بالوادي في النصف الأول من القرن العشرين ظاهرة تشييد المساجد مثل المسجد الذي شيّد عقب استقرار أولاد "حدّا " وأولاد " باي " في نزلة الحمايدة، جنوب شرق الوادي سنة 1920م.[2].

لقد لعبت المساجد دورا كبيرا في تحفيظ القرآن وتدريسه ومذاكرته في شكل حلقات، وذلك طول أيام السنة ليختم القرآن مرة في كل شهر قمري، كما تعقد جلسات لتدريس العلوم الشرعية من طرف الأئمة وكبار العلماء، اضافة إلى إحياء المناسبات الدينية، وهكذا لعبت المساجد دورا كبيرا رياديا واكتست أهمية بالغة في استقطاب كل فئات المجتمع[3].

2- المكتبات: إن الوضع الثقافي الذي تعيشه وادي سوف في تلك الحقبة الزمنية أثّر على هذه المكتبات من حيث البقاء والاستقرار، حيث غلب عليها التلف والضياع والإهمال، خاصة المكتبات الأهلية، وقد اختلفت المكتبات من حيث طبيعتها وأهميتها وأهدافها، وهي تنقسم إلى أنواع كالآتي :

أ-المكتبات الأهلية : إنّ استقرار العمران بوادي سوف منذ قرون بعيدة وكونها معبرا لقوافل تجارية جعل من أهلها نَقَلَةَ لكل ما هو حضاري مثل الكتب والوسائل والورق وغيرها، هذا ما

1 - سعيدة عمان :**التربية والتعليم بوادي سوف (1900م- 1960 م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر ، المدرسة العليا للأساتذة ، بوزريعة، 2008-2009م ، ص 59 .

2 - **نفسه** ، ص 60.

3 - علي غنابزية : **المرجع السابق** ، ص 174 .

جعل المنطقة تشهد حيوية في هذا المجال، مما شجع بعض الأهالي على الأخذ بأسباب السعي نحو التعلم و أخذ كل ما تقتضيه العملية التعليمية من ضرورات مثل الكتب، بدءا بكتب القرآن الكريم ثم الكتب في شتى مجالات العلوم، ولهذا تكرست هذه المكتبات التيألمتها الظروف[1] وتنقسم إلى:

- **مكتبات الزوايا والمساجد:** لقد كانت مكتبات الزوايا من أكثر المكتبات التي تضم المخطوطات المتعلقة بالقرآن والفقه، كما توجد لدى الزاوية التجانية بقمار وزاوية سيدي سالم مكتبتين كبيرتين زاخرتين بأنواع الكتب والمخطوطات، وهذا في فترة مشيخة كل من الشيخ محمد العروسي في قمار والشيخ محمد الصالح شيخ زاوية سيدي سالم، ومازالتا تحتفظا بكتب ومخطوطات خاصة المكتبة العرفانية بقمار التي أسست سنة 1882م، كما ازدهرت مكتبة الزاوية القادرية في عهد الشيخ عبد العزيز الشريف ، وأيضا مكتبة زاوية الرباح، أما مكتبات المساجد فقد كانت تشمل على المصاحف فقط وهذا خاصة بعد ظهور الطبعة الثعالبية للمصحف الشريف سنة 1931م، وكانت هذه المصاحف توضع إما على رفوف مبنية أو خزائن حائطية أو خشبية.

- **المكتبات الأهلية الخاصة:** إن المكتبات الخاصة بالأهالي تختلف باختلاف المكانة الاجتماعية لأصحابها، حيث اتسمت بالبساطة في القرن التاسع عشر ميلادي ومع بداية القرن العشرين عرفت تطورا وتزايدا بحيث تزايد المهتمين بالعلم والتعليم مما زاد في عدد الكتب[2].

و من أهم المكتبات نجد مكتبة إبراهيم بن عامر، و مكتبة أحفاد الشيخ خليفة بن الحسين القماري ، و مكتبة الحاج علي بن القيم ، ومكتبة أحمد بن أبي الضياف التاغزوتي، ومكتبة القاضي محمد الشريف المصعبي ، ومكتبة إبراهيم بن عمر الزقي، بالإضافة إلى مكتبة محمد

1 – أبو القاسم سعد الله : **أفكار جامحة** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988 ، ص 172 .

2 – موسى بن موسى: **المرجع السابق** ، ص 95.

بن البّريه ، ومكتبة الطاهر العبيدي، وهي عديدة خاصة بعد ظهور النخبة الزيتونية بوادي سوف[1].

- **ب – المكتبات الفرنسية :** ظهرت المكتبات الفرنسية في وادي سوف مع بداية الاستقرار النهائي لقوات المستعمر سنة 1882م ، لأن الكتاب كان ملازما للفرنسيين فهو دليلهم في معرفة واقع السكان، كما أنه يمثل الزاد لجميع أفراد الجيش والمعمرين وغيرهم،وهذه المكتبات كالآتي :

●**مكتبة ملحقة الوادي** :تضم هذه المكتبة عديد الكتب من تاريخ الجزائر وثوراتها الشعبية، وكذلك التاريخ الثقافي والاجتماعي والسياسي، كما تحوي كتبا باللغة العربيةو أهمها كتاب العدواني في شكله المخطوط وغيره من الكتب التراثية. وقد ختمت هذه الكتب بعبارة :« مكتبة بيرو– حرر بالوادي »، وفي هذه الأختام أضيفت عبارة ملحقة الوادي[2].

●**مكتبة الحامية العسكرية بالوادي** : أنشأها الضباط الفرنسيون حيث كانت بمقر تجمعهم بالوادي، تسلمت عديد الكتب الهامة مثل الكتب التي تخص الحروب والمعارك التاريخية، وكتب أخرى تخص فن قيادة الأفواج والفرق العسكرية، والبعض الأخر يهتم بتاريخ الحضارة الفرنسية وبعض الكتب القصصية وكذلك الملاحم والسير، بالإضافة إلى بعض المكاتب الخاصة بالمعمرين وبالذين هم في إطار حملات التنصير[3].

1 – أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج 5، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998، ص – ص 387 – 392.

2 – علي غنابزية : **المرجع السابق** ، ص ص 164 – 165.

3 – موسى بن موسى : **المرجع السابق** ، ص 97 .

ثالثا- التعليم في وادي سوف:

إن أهم مقصد تعنى به الأمم هو تربية الأجيال وتعليمهم، هذا الأخير بمختلف مراحله وأنواعه له دور هام في ازدهار الشخصية القومية ومقوماتها الثقافية، ومنطقة وادي سوف لم تكن بمعزل عن هذا التعليم فخلال الفترة الاستعمارية انتشر التعليم بأنواعه، حيث شهدت المنطقة خلال النصف الأول من القرن العشرين ميلادي تعليما مزدوجا عربيا إسلاميا ينطلق من مقومات المجتمع أساسه التعليم القرآني في الزوايا والمساجد والمدارس العربية الاسلامية، وآخر فرنسي فرضته الإدارة الاستعمارية .

1- التعليم العربي الإسلامي: كان يغلب على هذا النوع بالمنطقة تحفيظ القرآن وتدريس بعض العلوم الدينية واللّغوية، ويتم ذلك في المساجد والزوايا عبر نشاط الفقهاء والعلماء[1]، وفي الكتاتيب والمدارس القرآنية المنتسبة للأفراد أو الأسر أو المدارس العربية الحرّة، وقد شهدت المراكز التعليمية بوادي سوف خلال الفترة الاستعمارية تقدما ملحوظا من حيث ارتفاع عددها وتزايد المنتسبين لها، وذلك من خلال الدور الرئيسي الذي لعبته في نشر تعاليم الدين الإسلامي، وكذلك إدراك السكان مدى قيمتها كأداة للحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية و كذلك الصمود في وجه المحتل [2].

أ - **التعليم القرآني:** لقي هذا النوع رواجا كبيرا في وادي سوف بفضل نشاط المؤدبين والمدرسين في المساجد والزوايا، و أكد كل ذلك الشيخ حمزة بوكوشة (1907م - 1994م) بقوله : « ... والكلمة هي كيف كنا نتعلم القراءة والكتابة ونحفظ القرآن، ونتعلم العلم حتى لا تجد بسوف أميا، لأن التعليم منتشر فيها انتشارا غريبا بفضل المؤدبين وبعض الزوايا ...»[3]، كما

1 - عثمان زقب : **المرجع السابق** ، ص 169.

2 - الزبير بن بردي : **المرجع السابق** ، ص 29 .

3 - عاشوري قمعون: **العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة (حمزة شنوف) 1907- 1947م** ، مطبعة سخري ، الوادي ،الجزائر ، 2012، ص 164.

كانت مسألة تعليم اللغة العربية محل اهتمام الآباء في المنطقة ، حتى أن المدارس القرآنيةكانت تنتشر في كل قرية أو حي وهذا ما أدى إلى انتشار حفظة كتاب الله حيث لم يكد يخلو بيت من حافظ لكتاب الله أو جزء منه على الأقل[1].

*** وضعية المعلم والمتعلم في المدرسة القرآنية (الجامع):**

1- **المعلّم:** يسمى أيضا مؤدب الصبيان ويدعى " الطالب" لأنه يطلب العلم والأجر من الله ويسمى أيضا " نعمسيدي" وهي كلمة نشأت بسبب احترام الصبيان للمعلم فيقولون عن الأمر نعم سيدي، ولما تتكرر الكلمة أصبحت تطلق على المعلم وهذا مصطلح معروف عند أهل وادي سوف، ويكون الطالب متطوعا في أغلب الأحيان، يختاره أهل القرية لصلاحه وحفظه للقرآن فيولى شؤون المسجد وصلاة الجماعة، ويعلم الصبيان القرآن ويكون عاملا في الفلاحة أو التجارة، أما إن كان متفرغا للتعليم فرزقه مما يحمله له الصبيان أو آباءهم من هدايا ومساعدات في مناسبات كثيرة وهي كالآتي :

- **الفتوح:** شيء من التمر أو الطعام يحمل إلى الكتاب عند دخول الطفل أول مرة .

- **الخِتمة** : كلما حفظ الطفل سورا من القرآن يأتي بالختمة، وهي من الطعام غالبا، وتقدم عند بلوغه لبعض السور المتعارف عليها مثل:الإخلاص، الأعلى، النبأ، الرحمان، يس، يوسف، البقرة[2].

- **الحضور**: وهو الحطب الذي يأتي به الأطفال كل يوم ثلاثاء في فصل الشتاء من أجل تجفيف الألواح ويستغلها المعلم أيضا في حياته اليومية المنزلية.

- **الربيعية** : مقدار من المال يدفعه الطفل كل يوم أربعاء حسب الحالة الاجتماعية.

---

1 - موسى بن موسى : **المرجع السابق** ، ص 102.

2 - **نفسه** ، ص 100.

- **لعباروالّلحمـة** : شـيء مـن القمـح واللحـم يقدمـه الأوليـاء للطالـب فـي بعـض المواسـم والأعياد الدينية، كالمولد وعاشوراء وليلة القدر .

- **هـدايا العيـد** : وهـي الكسـوة التـي تقدم فـي الأعيـاد مثـل عيـد الفطـر وعيـد الأضـحى، بالإضافة إلى كبش العيد، لأن الإمام هو القدوة في الصلاة وفي ذبح الأضحية[1].

- **هـدايا الخريـف** : تخـص العـائلات الميسـورة، وهـي عبـارة عـن شـيء مـن التمـر يقدمـه الصبيان في فصل الخريف بعد قطع الغلة .

- **أجـرة المعلـم:** هـي أجـرة شـهرية مـن المـال تخصـص للمعلـم مـن طـرف الأسـر الميسـورة الحال.

لقد كان للمعلم مكانة كبيرة في المجتمع ، وأما عن التلاميذ فلا يستطيع أحد أن ينظر إليه من هيبته واحتراما له، وعندما يراه أحد في الشارع يتحاشى مقابلته حياء وخوفا ومهابة، وإذا تهاون الطفل في الحفظ أو صدر منه تصرف مشين يكون جزاءه الجلد بـ (الفلقة) على رجليه وهذا ما جعل الأطفال يخافون منه[2].

2- المتعلِم: لقد اهتم أهل وادي سوف بتعليم الأبناء، فما إن يبلغ الطفل 4 أو 5 سنوات حتى يدخله والده إلى كتّاب القرية أو الحي أو الزاوية القريبة منه[3]، ويستغرق في المدرسة مدة تتراوح بين 5 أو 8 سنوات، حتى يتمكن خلالها من حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا، كما عبرت الكاتبة الفرنسية سيللي ميلي بقولها:" ليس غريبا أن نجد واحد من عشرة يحفظ القرآن كله، بينما في

1 – علي غنابزية : **دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم بين الماضي والحاضر (مجتمع وادي سوف أنموذجا)**، مجلة البحوث والدراسات ، ع 4، س 4 ، المركز الجامعي بالوادي ، الجزائر ، 2007 ، ص 72 .

2 – الزبير بن بردي : **المرجع السابق** ، ص 33.

3- Ahmed Nadjah: **Le Souf des Oasis**, Edition la Maisondes livres , Alger , 1971 , p 108.

باقي إفريقيا الشمالية فإن هذه المعرفة خاصة بالطلبة وبعض الخواص بنسبة 1‰ " [1] ،وكل طفل ينتمي لهذه المدرسة لابد له من إحضار بعض الأدوات الضرورية وهي :

- **المصحف:** نسخة من القرآن الكريم يراجع فيها التلميذ ما حفظه .

- **اللّوح**[2]: لكل طفل لوح من خشب يتخذ من شجرة الزيتون المستورد من تونس، وهو أهم الأدوات، لأن الكتابة تتم على سطحه الأملس، وهو يرافق التلميذ خلال فترة الدراسة بأكملها.

- **الطين:** وهو المادة التي يمسح بها الحبر من اللوح بعد الحفظ [3].

- **الدواة:** وهي محبرة من مادة سوداء اللون تدعى (الصمغ) والذي يحرق ويوضع في دواة ومعه شيء من الصوف والماء حتى يصير حبرا صالحا لعملية الكتابة، كما يسمى في مناطق أخرى من وادي سوف باسم (البطوم).

- **القلم:** ويكتب به على اللوح وهو مصنوع من قصب الديس.

- **المخلاه:** هي المحفظة، وتكون صغيرة الحجم و مصنوعة من الصوف أو الكتان يضع فيه التلميذ كامل أدواته .

وعندما يتم الطفل حفظ القرآن الكريم يقام له احتفال حيث يتم شراء له ملابس جديدة ويطاف به في البلدة، غير أن الاختبار الحقيقي في وادي سوف لحافظ القرآن الكريم يكون عن طريق إمامة المصلين في صلاة التراويح[4].

* **مواقيت الدراسة اليومية وأعمالها** : تستقبل المدرسة القرآنية طلبتها مع طلوع الفجر ويتم اختيار هذا الوقت لبركته مصداقا لقوله تعالى:﴿إِنَّ قُرْآنَ اَلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودَا﴾[سورة الإسراء

1 – الزبير بن بردي : **المرجع السابق**، ص 33.

2 – ينظر الملحق رقم –02– .

3 -Ahmed Nadjah : op cit , p 109 .

4 – الزبير البردي : **المرجع نفسه**، ص 34 .

الآية 78]، وقول النبي صل الله عليه وسلّم : « اَللَّهُمَ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا» [رواهأبو داود و الترمذي ، وقال حديث حسن][1].

وقد كان بعض المعلمين ينصحون التلاميذ بأن يكون أول كلامهم عند الاستيقاظ من النوم أن يردد ثلاث مرات من النشيد التالي حتى يكون الله في عونه :

كـــــلام قـــــديم لا يمـــــل ســـــماعه ... تنـــــزه عـــــن قـــــول وفعـــــل ونيـــــة
بـــــه أشـــــفى مـــــن كـــــل داء ونـــــوره ... دليلـــــي لقلبـــــي عنـــــد جهلـــــي وحيرتـــــي
فيـــــا رب متعنـــــي بســـــتر حروفـــــه ... ونـــــور بـــــه قلبـــــي و ســـــمعي ومقلتـــــي
وســـــهل عليـــــا حفظـــــه ثـــــم درســـــه ... بجـــــاه النبـــــي والآلـــــي ثـــــم الصـــــحابه
عليـــــه صـــــلاة الله مـــــا هبـــــت الصـــــبا ... وعلـــــى آلـــــه الأخيـــــار أزكـــــى تحيتـــــي
صـــــلاتك ربـــــي وســـــلام علـــــى النبـــــي ... صـــــلاة لهـــــا ريـــــح مـــــن المســـــك أطيـــــب[2]

وأول عمل يقوم به الطلبة هو كتابة ألواحهم وبعد تصحيحها من طرف المعلم يشرعون في قراءتها وتلاوتها عشرات المرات بأصوات مسموعة ويستمر الحفظ في الفترة الصباحية إلى منتصف الضحى ، أي حوالي الساعة العاشرة، وبعد أخذ قسط من الراحة في البيوت يعود التلاميذ وقت الظهيرة لتبدأ الفترة المسائية إلى وقت صلاة العصر، وتستأنف بعدها إلى وقت اصفرار الشمس ثم يتم استعراض اللوح، وبعد الحفظ تمحى الألواح لتكون جاهزة في اليوم الموالي، بينما يؤجل إلى الصباح كل تلميذ عجز عن استظهار نصيبه حتى يحفظ الآيات في اليوم الموالي[3].

---

1 – أبو زكرياء يحي بن شرف النووي : **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين** ، تح : خليل الخطيب ، دار الكتاب الحديث ، الجزائر ، 2010م ، ص 252.

2 – علي غنابزية : **دراسة تاريخية** ، ص 74.

3– **نفسه** ، ص 75.

وقد لعبت المساجد دورا كبيرا في نشر التعليم العربي الإسلامي في ربوع وادي سوف حيث نذكر أهمها :

1- مساجد الوادي :

* جامع سيدي مسعود العتيق: يقع وسط المدينة أسسه الشيخ المسعود الشابي حوالي1600م.

* جامع سيدي سالم:بني بعد إتمام الزاوية الرحمانية العزوزية بالوادي سنة 1830م.[1]

* مسجد سي عبدالقادر: أسس سنة 1810م .

2- مساجد قمار :

* مسجد سيدي مسعود الشابي: يقع شرق قمار أسس بإشارة من السيد مسعود الشابي سنة1597م

* مسجد بيت الشريعة: أسسه أحمد بن علي الشابي سنة 1674م، ثم جدد سنة 1871م، وكان آخرها سنة 1974م.

* مسجد سيدي إبراهيم: أسسه إبراهيم بن سعد الشارف سنة 1771م.

* مسجد العمامرة: أسسه خليفة بن عبدالله بن العماري سنة 1878م.[2]

3- مساجد الزقم:

* مسجد العدواني: يعود تاريخ تأسيسه إلى حوالي سنة 1599م، وقد نسب إلى الرحالة المتصوف والمؤرخ محمد بن عمر العدواني الرحماني، وهو أول مسجد بسوف [3].

1 - علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف** ، ص 175.

2 - الزبير بن بردي : **المرجع السابق** ، ص 40.

3 - **نفسه** ، ص 42.

4- مساجد حاسي خليفة :

* مسجد الشرقية (العتيق): وهو أول مسجد في هذه البلدة وكان ذلك سنة 1905م، ولكن الراجح أنّه تأسس سنة 1870م .

* مسجد الهمائسة: بني سنة 1928م من طرف الصغير بن محمد هميسي و أخويه حميد وإحميمة.[1]

ب- التعليم في المدارس العربية : وهي المدارس التي جددت في وسائل الدراسة وكذلك المناهج فأطلق عليها اسم العصرية، حيث استقطبت الكثير من فئات المجتمع، إلاّ أنها لم تسلم من الرقابة وتضييق الإدارة الاستعمارية عليها ، وأهمها:

1- **مدرسة الوادي العصرية :** أسسها عبدالعزيز الشريف بالزاوية القادرية بالوادي، حيث استقدم لها أساتذة أكفاء مثل : الشيخ عبدالقادر الياجوري، والشيخ علي بن سعد خيران، وكانت الدراسة في الأقسام مع توفر المناضد والسبورة، وهي وسائل حديثة، أجهض نشاطها سنة 1938م[2].

2- **مدرسة النجاح الحرة بقمار:** تم تأسيسها من طرف الجمعية المحلية التي عرفت بجمعية الإصلاح ، أواخر الثلاثينات من القرن العشرين، من طرف أعيان قمار، كلف بها الشيخ محمد الطاهر التليلي رفقة ثلاثة من العلماء أمثال محمد سعداني والشيخ محمد التركي، حيث استطاعت أن تكون منارة للعلم، كما عملت على غرس الروح الوطنية وإثارة النخوة الأصيلة لدى أبناء المنطقة.

---

1 – محمد رشيد تامة : **حاسي خليفة تاريخا وثقافة واجتماعا بلدة رجل القرآن سي لمين غمام** ، مطبعة سخري ، الوادي ، الجزائر ، 2012م ، ص 42.

2 – حنان مسعودي :**الحركة الاصلاحية بوادي سوف 1918-1956م** ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2014-2015م، ص 58.

3- **مدرسة الشعب بالبياضة :** أسسها الشيخ أحمد بن محمد العيد التجاني(1901م-1957م) بمساعدة السكان ،كان ذلك في حدود الثلاثينيات من القرن العشرين، ومن أساتذتها نذكر الشيخ محمد بن محمد العيد التجاني، وعمار بوصبيع العايش، حيث كانت هذه المدرسة مركزا لتعليم العربية والدين الاسلامي مع بعض التوجيهات والأناشيد للتلاميذ.

4- **مدرسة الشيخ الإمام الشريف:** أسسها هذا الأخير في زاويته سنة 1896م،حيث استقدم لها مدرسين متخرجين من جامع الزيتونة منهم محمد بن حمد لغريبي وعلي بن سعيد[1].

2- التعليم الفرنسي : بعد استقرار الادارة الفرنسية بوادي سوف عملت على فتح أول مدرسة فرنسية بها، وكان ذلك سنة 1885 م، وسميت مدرسة الأهالي بالوادي، وكانت بها أربعة أقسام، حيث استقبلت أول فوج من التلاميذ في الموسم الدراسي 1888-1889م، وتم تعيين أول معلم فرنسي بها وهو قري تيدور سيلا [2]، أما أول معلم جزائري فهو عبدالقادر بن الطالب السعيد من تقرت، وكان حاصلا على الشهادة الابتدائية وكان ذلك في سنة 1900م، وكان عدد التلاميذ في الموسم الدراسي الأول ثمانية فقط وصل عددهم إلى 12 في موسم 1889م-1890م، وكانت البرامج المتبعة ذات طابع فرنسي شكلا ومضمونا تسعى إلى تلقين التلاميذ دروسا تؤثر على شخصيتهم سواء في اللغة العربية أو الدين الإسلامي، كما تبرز قوة فرنسا .

وتم فتح ثاني مدرسة فرنسية بكونين سنة 1893م، كما فتحت أخرى ثالثة في قمار سنة 1903م احتوت ثلاثة أقسام، وكانت هذه آخر مدرسة تم بناءها إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، أين تجدد اهتمام فرنسا ببناء مدارس جديدة في منطقة وادي سوف[3].

---

1 - الزبير بن بردي : **المرجع السابق** ، ص ص 42 - 43.

2 - البشير مقدود: **التعليم الفرنسي بمنطقة سوف خلال العهد الاستعماري بين الرفضوالتأثير** ، مجلة المعارف للبحوث والدراسات، ع 4، جامعة الشهيد حمة لخضر ، الوادي ، ص 146.

3 - الزبير بن بردي : **المرجع نفسه** ، ص 46.

ويلاحظ مما سبق أن إقبال التلاميذ كان محتشما بادئ الأمر، نظرا للإعراض والنفور من هذا التعليم بسبب الرهبة والخوف من تأثير المستعمر على العقيدة والدين، واستمر الإعراض إلى قرابة نصف قرن، وقد أشار الشيخ حمزة بوكوشة إلى هذا بقوله :" وقد كنا نفر من قراءة الفرنسية فرار السليم من الأجرب، لأننا لقنا أن قراءة الفرنسية من الكفر إن لم يكن الكفر بعينه"[1].

كما كان بعض الأهالي يهربون بأبنائهم إلى الصحراء أو الغيطان البعيدة خوفا من استدعائهم إلى المدارس الفرنسية، كما أثرت مواقف بعض علماء المنطقة وشيوخها على مواقف السكان، ومن ذلك موقف الشيخ إبراهيم بن عامر الذي رفض هذا النوع من التعليم وقام بتدريس كتاب « إرشاد الحيارى وتحذير المسلمين من تدريس أولادهم في مدارس النصارى»، وهذا الكتاب ليوسف النبهاني.

كما عملت الإدارة الفرنسية على توفير كل الشروط الإغرائية للصبيان من أجل كسبهم، كما اشترطت أن يكون المعلم متمكنا ومتفانيا في عمله، و لم تكتفي بتعليم الصبيان فقط بل لجأت إلى تعليم المرأة [2].

- **تعليم البنات:** لقد عرفت وادي سوف تأخر في إنشاء المدارس الفرنسية للبنات إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية رغم وجود رغبة لدى بعض الأهالي في تعليم بناتهم ، كما حصل في قمار خلال العشرينات إذ قام أولياء ثلاث بنات بتسجيل بناتهم للتعلم في مدرسة الذكور بقمار ، وهن على التوالي :

- وريدة بنت الحاج العربي (بنت ساعبي بريد ريفي)سنة 1924م
- مامة بنت العيد (بنت ممرن بمدرسة قمار) سنة 1925م .

1 – البشير مقدود : **المرجع السابق** ، ص 148.

2 – الزبير بن بردي : **المرجع السابق** ، ص 47.

-خدامس بنت بشير (عائلة غنية) سنة 1926م .

وبعد الحرب العالمية الثانية أنشأت فرنسا مدرستين لتعليم البنات بوادي سوف، واحدة بقمار وأخرى بالوادي سنة 1948م، وهما المدينتين الهامتين بالمنطقة لكبر الحجم السكاني، ونظام التعليم المطبق مشابه لكل مدارس البنات الأهلية ، ويقوم أساسا على ما نص عليه برنامج 1898م، ويتمثل في اعطاء البنات المفاهيم الأولية باللّغة الفرنسية، وبعض الدروس في الحساب والرسم والقراءة والكتابة ، وكذلك الأعمال اليدوية مثل الخياطة والنسيج والطبخ .

وشهد هذا التعليم إقبالا متواضعا في هاتين المدرستين ، وذلك راجع أساسا إلى طبيعة المنطقة المحافظة . [1]

- **دروس محو الأمية:** لقد عرفت مناطق الجنوب ومنها وادي سوف بروز ظاهرة تشجيع دروس محو الأمية لدى فئة الكهول، حيث تم تنظيم الدروس للأميين الكبار في أكثر المدارس بطلب منهم، حيث فتحت المدارس لحوالي 300 شاب وكهل في وادي سوف في حدود سنة 1900م[2]، والغرض هو تعليم مبادئ اللغة الفرنسية، وقد أقبل عليها التجار بنسبة كبيرة، حيث أكد المفتش الخاص بتلك المدارس شغف هؤلاء بالتعليم وإتقان النطق لعدد كبير من الألفاظ الفرنسية .

وعموما ظل التعليم الفرنسي مختصرا في مرحلة التعليم الابتدائي، كما أن الإقبال عليه كان محددا مقارنة بالمدارس القرآنية والمدارس العربية الحرة[3].

1 – سعيدة عمان ، **المرجع السابق** ، ص 146.

2 – علي غنابزية: **مجتمع وادي سوف** ، ص 109.

3 – الزبير بن بردي : **المرجع السابق** ، ص 48.

من خلال دراستنا ووقوفنا عل الواقع الثقافي في وادي سوف مطلع القرن العشرين، نستنتج ما يلي:

- تنوع وثراء الوضع الثقافي الذي لعبت فيه الطرق الصوفية دورا كبيرا من خلال نشاط زواياها وشيوخه في تحفيظ القرآن ومبادئ اللّغة الربية والحفاظ على ثوابت المجتمع .

- كان للمساجد دور هام ومحوري في لمّ الشمل أولا ثم القيام بالدور الديني والثقافي .

- بروز وانتشار المكتبات بأنواعها في كامل ربوع وادي سوف، خاصة تلك التي في الزوايا ودورها في عملية التثقيف واثراء الجانب الثقافي للمجتمع .

- التركيز على التعليم باعتباره العمود الفقري للحياة ، ولأنّ ديننا الحنيف يحث على طلب العلم من خلال نصوص القرآن الكريم والسنّة النبوية ، فبرز التعليم القرآني بشكل أوفر حظ ، ثم بعد ذلك ظهر التعليم العربي الحر في المدارس العصرية من أجل تطوير العملية التعليمية والسير بها نحو ما تقتضيه متطلبات الحياة .

- ظهور التعليم الفرنسي في محاولة لمنافسة التعليم العربي الاسلامي، لكن الاقبال عليه بقى محتشما بسبب رفض المجتمع له خوفا على مستقبل أولادهم رغم وجود فئة درّست أبناءها في المدارس الفرنسية وهي قليلة.

الفصل الثاني:

الحركة الإصلاحية المحافظة في منطقة الزقم(1900-1937م)

أولا – عوامل ظهور الحركة الاصلاحية.

ثانيا– أهم الشخصيات الاصلاحية بالزقم.

ثالثا– ميادين نشاط الحركة الاصلاحية بالزقم.

شكلت منطقة الزقم إحدى الحواضر العلمية الثلاثة البارزة في إقليم وادي سوف، فقد ازدهرت فيها حركة التعليم كباقي الحواضر الأخرى، وعموما فإن ظروف وعوامل ظهور الحركة الإصلاحية متشابهة من حاضرة إلى أخرى إن لم نقل نفسها.

أولا - عوامل ظهور الحركة الإصلاحية:لقد تضافرت العديد من العوامل الداخلية والخارجية، والتي من شأنها أن ساهمت في دفع عجلة الحركة الإصلاحية بمنطقة الزقم، وفيما يلي سنعرض أهم العوامل التي ساهمت في دخول الإصلاح إلى إقليم وادي سوف عموما ومنطقة الزقم خصوصا:

1- عامل الهجرة: لقد تعددت واختلفت أسبابها عن باقي مناطق التراب الوطني، وهذا راجع إلى الواقع الجغرافي للمنطقة ومحاذاتها للحدود التونسية من خلال منطقة الجريد، وكذلك الحدود الليبية عن طريق غدامس، كذلك نجد الدوافع الدينية التي تشجع أهالي وادي سوف عموما على الهجرة للبلدان العربية انطلاقا من تونس، كمانجد عامل الرغبة في تحصيل العلم باعتبار أن معظم المهاجرين من المنطقة من الطلبة المثقفين، ولا ننسى دور العامل الاقتصادي والاجتماعي الذي أدى بالسكان خاصة المالكين للحيوانات إلى الهجرة باستثناء مالكين النخيل[1].

كذلك نجد العامل السياسي الذي يحضر بقوة والمتمثل في الوضع الذي أصبح يميز المنطقة، وهذا الوضع أصبح مشجعا على الهجرة هربا من مواجهة الحاكم الفرنسي خاصة منذ صدور المرسوم الخاص بالتجنيد الإجباري[2]، لذا فقد أخذت الهجرة في إقليم وادي سوف ثلاث وجهات رئيسيةهي:

1 - موسى بن موسى: **المرجع السابق** ، ص 107.

2 - محمد العيد قدع : **الروابط الاجتماعية والثقافية بينٌ إقليمي وادي سوف والجنوب التونسي (1881-1962م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ ،تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر، جامعة الوادي ، 2019-2020م ، ص 163.

أ – **الهجرة نحو المشرق العربي:** ارتبطت هجرة السوافة نحو المشرق العربي بالعامل الديني الذي كان قويا لاختيار هذه المناطق هروبا من السياسة الفرنسية، وقد كانت هذه الهجرة قديمة تعود إلى فترة ما قبل الاحتلال، وهذا انطلاقا من البقاع المقدسة في إطار رحلة الحج الموسمية التي كان يصحبها عامل اقتناء الكتب والمجلات لدى بعض الحجيج، باعتبار الحج عامل أساسي في نشر الوعي الثقافي والإصلاحي[1]،وعليه كانت الحجاز أهم منطقة من بلاد المشرق تستقطب أهالي وادي سوف، حيث ازدادت هذه الهجرة خاصة خلال الفترة الممتدة من (1930-1939م)، كما كانت الهجرة نحو الأزهر الشريف، وهذا من خلال هجرة (محمد العربي ستو) المولود بوادي سوف خلال 1870م، والذي هاجر إلى مصر حيث زاول دراسته في الأزهر حوالي سنة 1916م، كما نجد العالم عمار بن الأزعر القماري الذي نفته إدارة الاحتلال فاستقر في المدينة المنورة[2].

ب – الهجرة نحو تونس:إن قرب تونس من وادي سوف كان العامل الأساسي في تشجيع حركة الهجرة، حيث كانت على شكل أفواج، القصد منها الكسب عن طريق الحصول على العمل،حيث أن غالبية المهاجرين من الطلبة،الذين يزاولون أعمالا أخرى من أجل سد حاجياتهم ومصاريفهم قصد التمكن من مواصلة الدراسة[3]، وقد حاولت فرنسا تنظيم الهجرة نحو تونس من خلال تجميعهم واستغلالهم في دفع الضرائب وتعيين مسؤول عليهم، وذلك بموجب قرار جويلية 1891م، هذا وقد عرفت حركة الهجرة نحو تونس فترات عرفت خلالها تفاوتا من ناحية العدد[4]،وهي كالآتي:

– **فترةِ اندلاع الحرب العالمية الأولى:** حيث شهدت تدفقا كثيرا نحو تونس رغم بساطة الوسائل المستخدمة في النقل، مثل السير على الأقدام واستخدام الحيوانات، وقد كانت هذه

1 – حنان مسعودي : **المرجع السابق** ، ص 48.

2 – موسى بن موسى **المرجع السابق**، ص 108.

3 – أبو بكر الصديق حميدي : **التواصل الاجتماعي بين وادي سوف وتونس** ، جامعة المسيلة ، ص 45.

4 – عثمان زقب : **المرجع السابق** ، ص 201.

الهجرة في هذه الفترة فردية دون عائلات، حيث كانت هذه الهجرات موسمية سوى من ناحية الطلبة أو أرباب العائلات[1].

- **الفتـرة الثانيـة (1918-1930م):** حيث تزايدت حركة الهجرة بشكل ملحوظ، وأصبحت سمتها البارزة هي هجرة العائلات، والشيء الملاحظ في حركة الهجرة نحو تونس هو التقارب الثقافي وسهولة الانتقال وضعف الرقابة الأمنية على مستوى الحدود، وهكذا استمرت العلاقة بين وادي سوف وتونس لتكون مصدر إشعاع فعلي لبروز معالم الإصلاح، كما لعب جامع الزيتونة الدور الرئيسي باعتباره الإشعاع الحقيقي الذي ضّل وقتا طويلا مقصدا هاما لأبناء وادي سوف عامة ومنطقة الزقم خاصة[2]، والتي كانت هجرتهم نحو تونس قصد طلب العلم، وكذلك هروبا من السياسة الفرنسية المطبقة والمضايقات المتكررة[3]، حيث يقول الشيخ عزالدين عباسي بأن الوضع الاجتماعي المزري كان وراء هجرة السوافة عامة وأهل الزقم خاصة،كما أن السياسة الاستعمارية لعبت دورا في تهجير السكان[4]، وكمثال على ذلك هجرة الشيخ أحمد الغولي واستقراره في تونس في قلعة سنان إلى أن وافته المنية هناك سنة 1960م[5].

ج- الهجرة الداخلية: لقد كان أهالي وادي سوف يهاجرون إلى المدن الجزائرية قصد العمل والاستقرار خاصة إلى بسكرةوتقرتوورقلة،من أجل ممارسة التجارة خاصة التمور، كما كان هناك آخرون يقصدون مناجم الونزة والكويف،وآخرون يقصدون بعض المدن مثل المسيلة وبرج بوعريريج قصد تعلم الحرف والتجارة، وهناك من يفضل الذهاب إلى المدن الساحلية[6].

---

1 - عبدالقادر عزام عوادي : **وضعية المهاجرين السوافة بتونس العاصمة خلال الفترة الاستعمارية (1912- 1962م)**، مجلة الرواق ، العدد1 ، جوان 2015م ، ص 86.

2-**نفسه** ، ص 87.

3 - المولدي الصيشي : **المرجع السابق** ، ص 53.

4 - عبدالقادر عزام عوادي : **المرجع نفسه** ، ص 87.

5 - سعد العمامرة وأحمد منصوري : **أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب ، جمعية الجماعة السوفية** ، شركة مزوار للطباعة والنشر ، ص 45.

6 - الإمام بريك : **المرجع السابق** ، ص 63.

لقد كانت هجرة أهالي قرية الزقم إلى الولايات الداخلية بسبب السياسة الفرنسية، خاصة بعد تأكد الاستعمار من مساهمة أهالي القرية في حركة المقاومة[1]، وكمثال على ذلك هجرة الشيخ محمد بدير إلى ولاية تبسة واستقراره ببئر العاتر[2]، حيث كان يزاول نشاطه هناك، كما يقول الأستاذ بن سالم بالهادف أن اتجاه هجرة أهالي الزقم كان منصبا خاصة على مدينة عنابة وتبسة، وذلك قصد العمل في المناجم والموانئ[3].

2 - النخبة ودورها في ظهور الحركة الإصلاحية:لقد لعبت النخبة دورا هاما في دفع عجلة الإصلاح المحلي، وهذا من خلال الوقوف على التعليم ودعمه من أجل الحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية، و إجهاض مشاريع الدولة المستعمرة الفرنسية، وهذه النخبة تنقسم إلى نوعين:

أ - **النخبة المحافظة:** لقد كان دورها كبير جدا من خلال التعليم العربي الإسلامي، و تعليم الأطفال المبادئ الأولى، وكان أعلام هذه النخبة مقسمين حسب الحواضر، ففي الوادي مثلا نجد الشيخ محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى موساوي الذي كان غزير العلم، وكذلك الشيخ الطاهر لعبيدي، وعبد الرحمان العمودي والشيخ على بن صابر، أما في حاضرة قمار فنجد الشيخ أحمد بن سالم والشيخ على بالقيم وكذلك الشيخ الأخضر حمانة[4]، أما أعلام الكتلة المحافظة في حاضرة الزقم فنجد الشيخ إبراهيم بن السلمي، وكذلك محمد الساسي معامير، والشيخ إبراهيم بن محمد بن معمر، والشيخ بلقاسم بن محمد بن معمر، فقد كان نشاط هؤلاء الأعلام وراء دفع العجلة نحو ظهور الحركة الإصلاحية، كما لا ننسى الشيخ يونس معمري وغيرهم[5].

---

1 - المولدي صيشي : **المرجع السابق** ، ص 53.

2 - سعد العمامرة وأحمد منصوري : **المرجع السابق** ، ص 102.

3 - بن سالم بالهادف : **المرجع السابق** ، ص 69.

4 - موسى بن موسى : **المرجع السابق** ، ص 118.

5 - حنان مسعودي : **المرجع السابق**، ص - ص 44 - 45 .

ب- النخبة الزيتونية: هي المجموعة التي تلقت تعليمها في جامع الزيتونة، بعد تلقي التعليم الأولي على يد مشايخ الكتلة المحافظة، حيث كانت هذه النخبة متمرسة نتيجة المستوى التعليمي الموجود في تونس من خلال المواد التي كانت تدرس هناك، وهي النحو، و الآداب العربية، الشريعة الإسلامية،و تاريخ الشريعة الإسلامية ،السيرة النبوية، تفسير القرآن، الفلسفة ، و يضاف إليها مواد تكميلية، مثل الحساب والرياضيات والجبر والتاريخ والجغرافيا، وهذا ما ساهم في توعية هذه النخبة التي ما إن رجعت إلى أرض الوطن،إلاّ وباشرت عملية التدريس والإصلاح،الشيء الذي انعكس بالإيجاب على المنطقة[1].

3- السياسة التعليمية الفرنسية:إن الوضع الثقافي المتدني الذي كانت تعيشه وادي سوف عموما تحت وطأةالاحتلال، ومحاولة تكريسها للتعليم الفرنسي وطمس هوية الشعب الجزائري، وكذلك التضييق على العلماء ومعلمي القرآن، كل هذا كان دافعا للتفكير في إيجاد أساليب أخرى للتعليم، وكذلك كان سببا هاما للهجرة نحو تونس وغيرها لإكمال الدراسة هناك [2].

4- انتشار بعض المفاسد الاجتماعية: لقد انتشر في المجتمع السوفي التقليدي العديد من المفاسد الاجتماعية، خاصة عند العوام، وهذا راجع إلى طابع الجهل والأمية نتيجة السياسة الفرنسية المطبقة، هذاما تطلب جهود جبارة من طرف العلماء من أجل الرجوع بالمجتمع إلى ينابيع الدين الإسلامي الصافية، ولم يكتفي الاستعمار بنشر الجهل والأمية، بل قام بإفساد المجتمع من خلال تشجيع شرب الخمور وانتشار الرذيلة والغش والرشوة، والتي ولدت الحاجة الماسة إلى التغيير نحو الأفضل،وإصلاح الأوضاع الفاسدة تماشيا مع مقاصد الشريعة الإسلامية التي تدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3].

---

1 - موسى بن موسى : **المرجع السابق** ، ص 122.

2- يوسف زغوان : **التعليم العربي الحر في وادي سوف (1931- 1962 م) من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية** ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، تخصص تاريخ حيث ومعاصر ، جامعة الوادي ، 2014-2015 م ، ص 52 .

3 - **نفسه** ، ص 53.

لقد كان الشيخ إبراهيم كلكامي ورفقائه في الإصلاح يجوبون منطقة الزقم، ويذهبون بأنفسهم إلى أماكن تواجد الشباب المنحرف الذي يتعاطى المخدرات والخمور وغيرها، خاصة في المكان المسمى " القهوة البرا "*، حيث تابع إرشاد هؤلاء الشباب بالتي هي أحسن وهذا ما يؤتي ثماره ونتائجه[1].

ثانيا:أهم الشخصيات الإصلاحية بمنطقة الزقم:

إن الحركة الإصلاحية في منطقة الزقم العريقةقادها مجموعة من المشايخ والعلماء، الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية النهوض بأعباء المجتمع، خاصة في مجال الثقافة والدين والتعليم، من خلال جهودهم الرامية إلى تنمية الحس الثقافي والديني والاجتماعي وإصلاح ذات البين والمفاسد الاجتماعية، وفي ما يلي سنذكر أهم الشخصيات البارزة في تاريخ النضال الإصلاحي بالمنطقة:

1- **إبراهيم بن السلمي:**يعتبر من أبرز علماء قرية الزقم وأكثرهم شهرة، حيث بلغت شهرته أرجاء الصحراء بأكملها، وكذلك بلاد التّل لكونه شيخ متمرس فطن، كما أنه صاحب علم غزير حيث كان له فضل كبير على أهالي البلدة، من خلال العمل الدؤوب الذي كان يقوم به في مجال التعليم القرآني، توفي رحمه الله سنة (1333هـ /1914م)[2].

2- محمد الساسي معامير :ولد الشيخ ببلدة الزقم خلال سنة 1880م، وبها نشأ وترعرع وحفظ القران الكريمعلى يد معلمي القرآن بمسجد الشيخ العدواني[3]، فأخذ ما أمكنه من العلم والمعرفة بمسقط رأسه، ثم رحل إلى تونس لإكمال دراسته بالزيتونة، لكن لم تطل إقامته لظروف اجتماعية قاهرة، فعاد إلى أرض الوطن ومعه العزم والهمة على مواصلة الدراسة وطلب

* تسمى بهذا الاسم لأنها تقع خارج التجمع السكني.

1 – لقاء مع الشيخ أحمد منصوري ، في بيته : يوم السبت 11 فيفري 2023 على الرابعة والنصف مساء.

2 – موسى بن موسى : **المرجع السابق** ، ص 101 .

3- علي غنابزية : **مساهمات** ، ص 134.

العلم بطريقة عصامية حرة، وكان شغوفا بالدراسة والمطالعة، وكثرت الرحلات داخل الوطن وخارجه، وكان كثير الاجتماع مع العلماء ورجال الفكر والثقافة، حتى برع في الكثير من فنون العلم، خاصة علم القراءات والخط العربي، وقد تمكن بهذا من كتابة نسخ عديدة كاملة من المصحف الشريف بخط يده، بما يوافق الرسم العثماني المتبع في منطقة شمال إفريقيا[1].

لقد كان الشيخ محمد الساسي معامير مؤرخا عظيما ورحالة،حيث تعرض لبعض الأحداث المحلية، كما سجّل في رحلاته الكثير من الأحداث الهامة في تاريخ الجزائر، كما له اهتمام خاص وعناية فائقة بمتابعة ومواكبة أحداث عصره،كما له شغف بمجريات الأمور السياسية والاجتماعية والثقافية والوطنية والقوميةوالدولية، وقد تولى إمامة الجمعة والتعليم في جامع العدواني في بلدية الزقم في فترة الأربعينيات، و كان من القلائل الذين أعلنوا الحرب على انتشار البدع والخرافات والفساد الأخلاقي في البلدة، أتقن رواية ودراسة تجويد القرآن الكريم[2].

كان للشيخ العديد من المؤلفات، منها خاصة كتاب التقويم الجزائري، وكذلك كتاب مشاهداتي في الجزائر، وكذلك مشاهدتي في قسنطينة، وقد ترك الكثير من المخطوطات التي لم يتمكن من طبعها، عاش الشيخ مثالا في العزم و الجّد والمثابرة و الهمة العالية،إلى أن وافته المنية في بلدة الزقم في شهر مارس 1967م[3].

ويعتبر كتاب التقويم الجزائري من أهم مؤلفات الشيخ، وفيما يلي سنحاول إعطاء لمحة عن أهم محاور هذا الكتاب الذي طبعته المكتبة التونسية:

1 – سعد العمامرة وأحمد منصوري : **المرجع السابق** ، ص 28.

2 – علي غنابزية : **مساهمات** ، ص 135.

3 – المولدي صيشي : **المرجعالسابق** ، ص 100.

- **أهم محاور كتاب التقويم:**

1- القسم الفلكي: يتحدث فيه عن السنوات العربية و القبطية والإفرنجية.

2- القسم الصحي:يتحدث فيه عن قواعد الصحة والطب والطفل ووقايته والإطعام والماء والصحة،حفظ الصحة، النوم والصحة، الرياضة وفوائدها.

3- علم الزراعة والفلاحة وفضلها وترقيتها.

4- فصل في الصناعة: يورد فيه مقالات لمفكرين مثل محمد عبده.[1]

5- فصل في التجارة:بين فضلها وفضل التاجر الصدوق، وسبب ارتقاء أوروبا وأمريكا بالشركات.

6- فصل في الاقتصاد والنهضة الاقتصادية والاقتصاد السياسي والمحاصيل.

7- فصل في الآثار القديمة والمتاحف والمحفوظات والآثار المحمدية المباركة، وأول مكتبة عمومية في الإسلام، وكذلك تاريخ الحرائق.

8- فصل في علم الاجتماع وتطوره[2].

أما القسم الذي أطلق عليه اسم القسم الجزائري، فركز فيه على الجوانب التاريخية بالحديث عن سكان شمال إفريقيا، والدول التي تعاقبت على الجزائر إلى الدولة التركية وسقوطها واحتلال فرنسا للجزائر.

1- علي غنابزية : **مساهمات** ، ص 137.

2 - **نفسه** ، ص 138.

هناك قسم آخر تحدث فيه عن دائرة (وادي سوف) بشكل موجز[1].

3-الشيخ أحمد الغولي:ولد أحمد بن مصطفى بن خليفة في بلدة الزقم، خلال سنة 1888م، وبها نشأ وترعرع، حفظ القران الكريم بمسجد الشيخ العدواني على يد الشيخ نصر الأخضري، وتلقى مبادئ العلوم في الفقه والتوحيد واللّغة على يد الشيخ الطاهر بن بلقاسم معمري[2]،ثمارتحل إلى الزيتونةفيموسم(1924- 1925م)، حيث درس عدّة سنوات إلى أن تحصل على شهادة التطويع سنة 1928م، عاد إلى أرض الوطنوبدأ نشاطه بمسجد سيدي عبد القادر المسمى بالجامع الظهراوي، و كان يدّرس العامة ليلا نهارا، وكان كثيرا الاهتمام بالشباب، يقدم لهم النصائح والتوجيهات ويحثهم علىالابتعاد عن مجالس السوءوعنالمقاهي،وكذلك يحثهم علىالابتعاد عن شرب الخمور، والمسكرات،فكان الشيخ من أهم الشخصيات المستقبلة لوفد جمعية العلماء المسلمين لما زار المنطقة أواخر ديسمبر 1937م،كما أنه صاحب كلمة الترحيب بالوفد الزائر، تعرض إلى كثير المضايقات من المستعمر، مما اضطره إلى المغادرة والهجرة إلى تونس فاستقر به المقام هناك إلى أن وافته المنية، ودفن هناك سنة 1960م[3].

4- الشيخ مسعود عباسي[4]:ولد الشيخ مسعود عباسي بن محمد بن سالم خلال سنة 1893م ببلدة الزقم، نشأ في أسرة محافظة على عاداتها وتقاليدها، معروفة بالعلم والصلاح والتقوى، حفظ القران الكريم مبكرا على يد الشيخين ' محمد أم الهناء ' وكذلك ' المقدم بالأخضر '، زاول دراسته الأولى بزاوية سيدي المولدي بنفطة بالجنوب التونسي، كان شغوفا بالعلم وأهله ومجالسة العلماء يتلقى منهم، إلى أن أصبح ذو قدر كبير، فكان فقيها بارعا في شؤون العبادات

1 - موسى بن موسى : **المرجع السابق** ، ص 154.

2- سعد العمامرة وأحمد منصوري : **المرجع السابق** ، ص 44.

3-**نفسه** ، ص 45.

4 - ينظر الملحق رقم - 03 - .

والمعاملات، ويعلّم الصبيان في القرية ولا يتقاضى عن ذلك ثمن، فكان مثالا في العمل والكد،حيث كان يزاول نشاطه اليومي في هذا المجال على فترات ثلاثة، الأولى من الصباح إلى منتصف النهار وهي لتحفيظ القرآن وعلومه، والثانية من بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر وهي مخصصة لحفظ القرآن، أمّا الثالثة من المغرب إلى العشاء مخصصة لدروس الوعظ والارشاد[1].

كما كان الشيخ خطاطا ماهرا، يجيد ويتقن فن نسخ القرآن الكريم سوى في الألواح أو في كتابة نسخ من كتاب الله،فكان ملما بكثير من العلوم، منها فن التجويد وأحكام القراءات وهذا ما مكنه من كتابة عديد الرسائل في علم الكلام والقراءات والفقه والفتوى، كما كان يدّرس بالمسجد الغربي بالزقم المسمى ' بالمسجد الأصفر '، حتى تخرج على يده الكثير من حفّاظ كتاب الله، فكان لا يخاطبه أحد إلا بلقب سيدي،وقد استمر هذا الحب والتبجيل للشيخ حتى بعد وفاته، فاضت روحه إلى بارئها سنة 1954م[2].

5- الشيخ عبد الرحمان معمري[3]:ولد الشيخ سنة 1904م بقرية الزقم،حفظ القرآن الكريم على يد جده يونس إمام جامع العدواني، تلقى مبادئ العلوم واللّغة العربية على يد شيوخ البلدة، ثمتوجه إلى تونس سنه 1924م والتحق بجامع الزيتونة، فقضى بها سبع سنوات تحصل خلالها على الشهادة العليا وهي التحصيل في علوم السنة والفقه، رجع بعدها إلى بلدته الزقم عازما على مواصلةتبليغ الأمانة، فكان الشيخ خطيبا ومعلما للقرآن ومبادئ علوم الدين[4]،كما كان من أشد الناس محاربة للبدع والمعتقدات الفاسدة[5].

---

1 - سعيدة عمان :**المرجع السابق**، ص 81.

2 - سعد العمامرة وأحمد منصوري : **المرجع السابق** ، ص 46.

3- ينظر الملحق رقم - 03

4 - سعد العمامرة : **شهداء من بلادي الجزائر** ،مطبعة مزوار ، ،2005، ص 89.

5 - يوسف زغوان : **المرجع السابق** ، ص 45.

انظم إلى جمعية العلماء سنه 1934م، فعيّن ممثلا لها على مستوى ناحية الوادي مما شجعه أكثر على مواصلةالعمل الإصلاحي ومحاربه الفساد، كما أسندت إليه رئاسة شعبة جمعية العلماء التي تشكلت بالقرية تحت إشراف الشيخ عبد الحميد بن باديس عند زيارته إلى الزقم،فكان الشيخ متابعا من طرف الاستعمار الفرنسي وألّقي عليه القبض بعد انتفاضة 1938م التي قادها الشيخ عبد العزيز الشريف، وظل مواصلا على درب العلم والمعرفة ناصحا للشباب إلى أن تم إلقاء القبض عليه رفقة زميله إبراهيم كلكامي بعد اكتشاف خلايا التنظيم المدني بوادي سوف وسقط شهيدا في مجازر رمضان 1957م[1].

6-الشيخ يونس معمري: من مواليد سنه 1880م، له باع طويل في العلومتمرس في شؤون الدين، كان إماما لمسجد الشيخ العدواني،كما أنه كان شيخا مصلحا ومدرسا ناجحا للقرآن الكريم،أشرف على مدرسة العدواني حيث كان يقيم حلقات الذكر والدروس العلمية والأدبية، كما كان يعتمد أثناء إلقاء دروس السنة إلى طريقة الوعظ والنصح والإرشاد[2].

7- الشيخ ابراهيم كلكامي[3]:ولد سنة1913م بقرية الزقم،وبها نشأ وترعرع، التحق مبكرا بالجامع الأصفر المسمى (الجامع الغربي)،حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ مسعود عباسي، واصل دراسته في علوم القرآن والفقه الإسلامي في المجالس العلمية التي كان يعقدها الشيخ الطاهر معمري في جامع العدواني،وبسبب تفوقه على أقرانه وقدرته الفائقة على الاستيعاب تأهل للالتحاق بجامع الزيتونة المعمور، فدرس هناك إلى أن تحصل على شهادة التطويع، ثمعاد إلى أرض الوطن سنه 1943م[4].

1 - المولدي صيشي : **المرجع السابق** ، ص 96.

2 - سعيدة عمان : **المرجع السابق** ، ص 80.

3- ينظر الملحق رقم - 03 - .

4 - سعد العمامرة وأحمد منصوري: **المرجع السابق** ، ص 92.

وفي نفس السنة فكر الشيخ في تأسيس مدرسة حرة على غرار مدارس جمعية العلماء المسلمين لتحمل اسم مدرسة الإصلاح حيث زاول نشاطه بها، إلى جانب ذلك كان يعقد حلقات دروس ليلية للعوام طيلة أيام الأسبوع، كما كان ممن حاربوا كل أنواع الانحراف والفساد في البلدة،فيستغل فرصة الأعياد والمناسبات ليقدم توجيهاته، حيث اعتمد على أسلوب الترغيب والترهيب في النصح، انخرط في صفوف جمعية العلماء بعد زيارة وفدها للمنطقة سنه 1937م ، حيث عين نائبا للرئيس، هذا وقد تلقى توجيهات شخصية من الشيخ بن باديس،وكان من المنخرطين في مجلة الشهاب وغيرها من الجرائد التي تصدرها الجمعية، كما كان مدمنا على المطالعة خاصة جريدة النهضة التونسية، أعتقل الشيخ بعد اكتشاف خلايا التنظيم المدني بوادي سوف ليكون من شهداء مجازر رمضان1957م[1].

8- الشيخ محمد بدير:ولد الشيخ محمد بن حامد بدير خلال سنة 1917م بالزقم، وبها نشأ وترعرع وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة على يد الشيخ خضير محمد المدعو ' حمة ملوكه ' ، بمسجد الزاوية القبلية المسماة زاوية سيدي بوعلي، فحصل على مبادئ اللغة وبعض المبادئ الإسلامية ليرحل إلى تونس لمزاولة الدراسة بالزيتونة المعمورة كغيره من الطلاب، فالتحق بمدرسة الصادقية لدراسة العلوم الاجتماعية والعلوم العلمية ، حيث تحصل منها على شهادة الأهلية، حيث كان شديد الذكاء محبا للمطالعة في مختلف المجالات الثقافية والسياسية مما ولّد لديه تفكيرا سياسيا[2].

عاد إلى أرض الوطن بعد وفاة والده ليمارس مهنة التدريس إلى جانب شيوخ القرية وليساهم في النهضة العلمية التي كانت تشهدها القرية، كما كوّن مدرسة حرة بتوجيه من جمعية العلماء المسلمين،وكان ضمن الوفد الذي استقبل الجمعية عند زيارة وفدها إلى المنطقة،وكان يدعو إلى عدم الاختلاط بالمستعمر الفرنسي وعدم تعلم لغته، فكانت اتجاهاته السياسية سببا

1 - سعد العمامرة : **شهداء من بلادي** ، ص 89.

2 - سعد العمامرة وأحمد منصوري: **المرجع السابق** ، ص 102.

في مضايقة المستعمر له، حيث أُدخل السجن لمدة 8 أيام، كما تم إيقافه عن مهنة التدريس رفقة بعض شيوخ القرية أثناء التحقيق[1].

ولما تكررت مضايقة المستعمر له انتقل إلى منطقة تبسة حيث استقر بمنطقة ' بئر العاتر '، وبدأ يكتب مقالات صحفية في جريدة البصائر تحت اسم مستعار' أحمد بن حامد'، وبقي يتردد على القرية من الحين إلى الآخر، وفي سنه 1943م سافر إلى تونس بعد استمرار مضايقة الاستعمار له حتى في منطقة تبسة ليبقى بها مدة، ثم عاد سنة 1945م باسم مستعار، حيث اتصل في قسنطينة بالشيخ البشير الإبراهيمي الذي عينه مدرسا بإحدى المدارس بالعاصمة، وفي سنة 1947م اشتّد به المرض حيث أُجبر على العودة إلى الزقم، حيث توفي بها[2].

9- الشيخ محمد العربي خطراوي[3]:ولد الشيخ خلال سنة 1918م بقرية الزقم، وبها نشأ وترعرع وتعلم القرآن الكريم على يد مشايخ الزاوية الرحمانية بالمسجد الشرقي، ومن بينهم الشيخ محمد بن حامد، كما تلقى مبادئ العلوم على يد الشيخ نصر باسي والشيخ العربي بن صالح أحمودة والشيخ العيد التكسبتي،فكر بعدها في مواصلة الدراسة بجامع الزيتونة، وكان ذلك في سنة 1939م، حيث ادّعى أنه درس السنة الأولى بالزقم، فأجري له امتحان كما كان يجرى للمبدعين مثله ، فنجح فيه وواصل دراسته ابتداء من السنة الثانية بالزيتونة إلى أن تحصل على شهادة التحصيل، ثم رجع بعدها إلى بلدته الزقم[4].

وبعد عودته التحق مباشرة بجمعية العلماء المسلمين ، فأرسلته إلى دائرة الريس سنة 1947م للتدريس بها، وقد تخرج على يده طلبة كثر،ألقي عليه القبض من طرف المستعمر

1 – المولدي صيشي: **المرجع السابق** ، ص 99.

2 – سعد العمامرة وأحمد منصوري : **المرجع السابق** ، ص 102.

3- ينظر الملحق رقم – 03 –.

4 – سعد العمامرة و أحمد منصوري: **المرجع نفسه** ، ص 104.

الفرنسي سنة 1957م أثناء مزاولة مهنة التعليم، ثم أطلق سراحه بسبب المرض وبعد إطلاق سراحه عاد إلى العمل في الفلاحة والكسب الحلال، إلى جانب ذلك كان ينظم بعض اللقاءات في بيته للشباب المثقف في شكل ندوات فكرية واجتماعية، وكانت له مكتبة تحوي أكثر من 200 كتاب في مختلف التخصصات مثل التاريخ والآداب والدين وغيرها من الكتب الثمينة التي أهداها لمكتبة الزاوية الرحمانية التي درس بها، وبقي بالمسجد الشرقي في الزقم[1].

10- الشيخ عبد العزيز عصامي: ولد الشيخ خلال سنة 1923م، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة (13 سنة) حيث أمّ الناس في صلاة التراويح وهو ابن 14 من العمر، تلقى مبادئ العلوم الدينية واللغوية على يد خاله الشهيد العلامة إبراهيم كلكامي، ونظرا لضعف حالته المادية وفقره كان يعمل إلى جانب الدراسة عند أهل القرية، ولما شبّ وتحصل على رصيد من العلم أرسله خاله إلى مدينة تونس ليلتحق بجامع الزيتونة المعمور لإتمام الدراسة هناك، وكان دائما يوفق بين العلم والعمل، وقد أنهى دراسته بالزيتونة بحصوله على شهادة التطويع، ثم عاد بعدها إلى بلدته الزقم حيث أدمجه خاله في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد كان ممثلا ضمن شعبتها بالزقم ، ومن هناك استدعته الجمعية للتدريس في إحدى مدارسها خارج المنطقة، توفي رحمه الله سنه 2005م[2].

ثالثا - ميادين نشاط الحركة الإصلاحية بالزقم:

لقد تعددت الميادين التي نشطت من خلالها الحركة الإصلاحية المحافظة ،ورجال الإصلاح المحافظين في منطقة الزقم، فنجد الجانب التعليمي هو الذي استحوذ على النسبة الكبيرة نظرا للطابع القرآني الذي يسود القرية خصوصا ووادي سوف عموما، فكرس هؤلاء الرجال كل جهودهم خدمة للقرآن الكريم حفظا وتفسيرا ودراسة ، كما نجد الجانب الاجتماعي

1 - المولدي صيشي: **المرجع السابق** ، ص 99 .

2 - سعد العمامرة و أحمد منصوري: **المرجعالسابق** ، ص 109.

المتمثل بإصلاح ذات البيّن ومحاربة الفساد المنتشر في البلدة وكل مظاهر الانحراف والآفات الاجتماعية والعادات السلبية، كما كان لشيوخ القرية بعض النشاط الصحفي المتمثل في بعض الرسائل في شكل احتجاجات وغيرها.

1- الميدان التعليمي:لقد اشتهرت هذه الحاضرة بسوف بكثرة العلماء وطلبة العلم بها، وذلك راجع إلى اهتمام أهلها بالعلم، ومن أبرز المتصدرين للتعليم في هذا المجال نجد الشيخ عبد الرحمن معمري الذي كان من أبرز الشيوخ تحفيظا للقرآن الكريم وتدريسه[1]، وقد زاد نشاطه بعد تخرجه من الزيتونة سنة 1931م، وكان يزاول تدريسه بجامع العدواني ويعلم الطلبة القرآن الكريم ومبادئ علوم الدين[2]، واشتد نشاطه أكثر خاصة بعد انضمامه إلى صفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحث على تأسيس مدرسة حرة للتعليم، وكان الشيخ يقوم بدروس الوعظ والإرشاد الديني،هذا النشاط أزعج السلطات الفرنسية التي ألقت القبض عليه سنة 1938م، عقب انتفاضة الشيخ عبد العزيز الشريف، فزج به في سجن تقرت رفقه زميله مسعود عباسي.

وقد كان الشيخ إبراهيم كلكامي أيضا من رواد التعليم القرآني في بلدة الزقم، وكان ذلك قبل تأسيسه للمدرسة، أي مع زيارة وفد الجمعية للمنطقة وتأسيس الشعبة بها، وقد ازدهر نشاط الشيخ كلكامي التعليمي أكثر بعد عودته من جامع الزيتونة المعمور، سنة 1943م وتأسيسه لمدرسة الإصلاح التي اختص بالتدريس بها وحده دون غيره، حيث كان التعليم شغله الشاغل،كما كان الشيخ مسعود عباسي أيضا رائدا من رواد التعليم القرآني في المنطقة من خلال مجهوداته في هذا المجال، وهناك أيضا العديد من الشيوخ البارزين في هذا المجال، وهم أعلام الحركة الإصلاحية المحافظة بالمنطقة، لكن برز منهم هؤلاء الثلاثة، ويعتبر الشيخ

1 – موسى بن موسى: **المرجع السابق** ، ص 156.

2 – إبراهيم شويخ : **الرحلات العلمية وأثرها في الحياة الثقافية بمنطقة وادي سوف (1931-1969م)**، مذكرة مكملة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر ، جامعة الشهيد حمة لخضر ، الوادي ، 2017-2018 م ، ص74.

إبراهيم كلكامي رائد التعليم في المنطقة بدون منازع[1]،وقد كان التعليم القرآني يتم بالكيفية التي سبق وأن تحدثنا عليها في الفصل الأول .

2- ميدان الإمامة والخطب الجمعية والعيدية:لقد كانت الإمامة وإلقاء الخطب الجمعية في مناسبات الأعياد ميدانا خصبا للحركة الإصلاحية المحافظة ، كي تنشر أفكارها بين شرائح المجتمع وفرصة للاحتكاك المباشر مع المجتمع، هذه المواسم التي يجتمع فيها أكثر الناس، وقد كان الشيخ يونس معمري من الأوائل الذين زاولوا مهنة الإمامة وإلقاء الخطب، وقد خلفه الشيخ عبد الرحمن معمري للإمامة والخطابة في مسجد الشيخ العدواني أعرق المساجد بالزقم وسوف كلها، أما الإمامة فقد تخلى عليها الشيخ عبد الرحمن إلى أخيه مسعود معمري ابتداء من سنة 1946م، وبعد استشهاد الشيخ عبد الرحمن سنه 1957م خلفه أخوه مسعود في خطبة الجمعة وصلاتها [2]،كما كان الشيخ إبراهيم كلكامي من أهم الشخصيات البارزة خاصة في المناسبات والأعياد حيث يستغلها في النصح والإرشاد، وكان يُعِّد لهذه المناسبات تمثيليات تاريخية يقوم بأدائها تلاميذ مدرسته يهدف من ورائها إلى توجيه الناس وإرشادهم ، خاصة في شهر رمضان الكريم عند الاحتفال الذي يقام بالمساجد عند ختم القرآن الكريم[3].

3- الميدان الاجتماعي : يعتبر الجانب الاجتماعي من أهم الجوانب التي ركزت عليها الحركة الإصلاحية وزعماؤها المحافظون ببلدة الزقم، حيث أن هذا الميدان المهم يعكس الحالة العامة لأهل تلك البلدة التي تعرف بتمسكها الشديد بالدين، إلا أن هذا لا يعني أن كل أهالي القرية متساويين في درجة العلم والثقافة، كما تحكم في هذا الجانب الحالة الاجتماعية للعائلات وكذلك البطالة والفراغ،كل هذا يجعل من فئة الشباب تنحرف عن مبادئ الدين الإسلامي، ولهذا ركز هؤلاء العلماء جهودهم على الميدان الاجتماعي، حيث نجد الشيخ إبراهيم كلكامي رائد الإصلاح في المنطقة وقد ساندة زملائه مثل مسعود عباسي وعبد الرحمن معمري الذين كانوا

1 – سعد العمامرة وأحمد منصوري : **المرجع السابق** ، ص 70.

2 – يوسف زغوان : **الجهود العلمية والثقافية لعلماء وادي سوف وانعكاساتها على المجتمع الجزائري (1962-1988 م)**، أطروحة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر ، جامعة الوادي ،20212022م ، ص ص 74 – 75 .

3 – سعد العمامرة وأحمد منصوري : **المرجع السابق** ، ص 93.

يذهبون بأنفسهم للاماكن التي يجتمع فيها المنحرفون مثل (القهوة البّرا)، حيث يتم إرشادهم وتوجيههم والالتقاء بهم والاستماع إلى مشاغلهم ومحاولة إصلاحها[1]، كما كان صاحب نشاط توجيهي كبير تمثل في محاربته للبدع والخرافات السائدة في مجتمع القرية ، وكذلك التقاليد والعادات الاجتماعية الدخيلة.

كما كان يسلك في ذلك أسلوب الترغيب والترهيب، حيث كانت هذه التوجيهات الاجتماعية في كثير من الأحيان تقدم في شكل عروض مسرحية يقوم بأداء أدوارها تلاميذ الشيخ، هذه التمثيليات يهدف الشيخ من ورائها إلى توجيه المجتمع وإرشاده وإصلاحه خاصة في الأشهر الفاضلة كشهر رمضان الكريم الذي يكثف فيه الشيخ من مجهوداته الإصلاحية، وهذا ما يعكس النظرة الاستشرافية للشيخ، لأن مثل هذه الوسائل تدل على نضج اجتماعي وديني وثقافي كبير، خاصة وأن المسرح لم يكن منتشرا كوسيلة إرشادية وتوجيهية لخدمة المجتمع في ذلك الوقت[2].

كما كان الشيخ أحمد الغولي من المهتمين بالنشاط الاجتماعي إلى جانب نشاطه التعليمي، حيث كان مهتما بشدة بفئة الشباب، حيث يرشدهم ويوجههم ويراقب سلوكياتهم ويتتبع مجالسهم وأماكن تجمعاتهم، فكان ينهاهم عن إتباع الملاهي ويحثهم عن الدراسة وطلب العلم، فتأثر به الكثير من الشباب وكان السبب في توبتهم ورجوعهم عن تعاطي المخدرات والخمور حيث أصبحوا من المداومين على أداء الصلاة في وقتها، كما كان الشيخ أحمد الغولي من الأوائل الذين كانوا ينادون بعدم الاختلاط بين النساء والرجال والمحافظة على كرامة الأسرة بإتباع ما شرع الله لعباده[3].

1 – يوسف زغوان : **المرجع نفسه** ، ص 79.

2– المولدي صيشي: **المرجع السابق** ، ص98.

3– سعد العمامرة و أحمد منصوري : **المرجع السابق** ، ص 45.

ومن الوسائل الناجحة في تحسين الوضع الاجتماعي ومعالجته، نجد تلك اللجان السرية التي كوّنها الشيخ إبراهيم كلكامي المتكونة من تلاميذ مدرسته، حيث تقوم هذه اللجان بمراقبة المنحرفين أخلاقيا وتقصّي تصرفات المخربين والفاسدين من شباب القرية لمحاولة إرشادهم[1]،وهذا يدل على إدراك الشيخ لأهمية عنصر الشباب في بناء المجتمع وترقيته خاصة وأن نسبة الشباب في المجتمع السوفي عالية.

هذا وقد كان جميع شيوخ القرية مثل عبد الرحمن معمري ومسعود عباسي ومحمد بدير وغيرهم ينشطون بنفس الوتيرة في الميدان الاجتماعي، من أجل لمّ شمل أهل القرية ونصحهم وتوجيههم وإصلاح ذات بينهم،من أجل الصمود في وجه السياسة الاستعمارية الغاشمة، وكل ذلك لا يتأتى إلا بالقناعة الراسخة والشخصية التي يكتسبها سكان القرية من خلال تمسكهم بدينهم الإسلامي الحنيف، الذي يحمل بين طياته حلولا لجميع المشاكل في مختلف الميادين.

4- الدروس الليلية (بين المغرب والعشاء): لقد كانت الدروس المقدمة ما بين صلاة المغرب إلى وقت أذان العشاء فرصة كبيرة لهؤلاء الأعلام المصلحين،يبينون من خلالها بعض المسائل، خاصة في مجال الفقه والتوحيد والمبادئ الإسلامية، فقد كان الشيخ أحمد الغولي يعقد درسه في هذا الوقت وقد خصصه للعامة، حيث يقدم لهم دروس فقهية وأخرى في التوحيد وأخرى في مبادئ العلوم الدينية[2]، كما كان الشيخ مسعود عباسي سائرا على نفس هذا المنوال في الجامع الغربي المعروف بالجامع الأصفر، حيث خصص هو أيضا هذا الوقت من أجل تقديم ما يمكن تقديمه لطلبته بالإضافة إلى الدروس التي كان يلقيها في الأوقات الأخرى، إلاّ أن هذا الوقت هو وقت مناسب لكل أطياف المجتمع ولذلك خُصّص لعامة الناس[3].

كما كان رائد الإصلاح بمنطقة الزقم الشيخ إبراهيم كلكامي يعقد دروسا ليلية للعوام طيلة أيام الأسبوع خاصة في فصل الشتاء، حيث ينزل الناس من البساتين لبرودة الجو، حيث يتم

1- سعد العمامرة و أحمد منصوري : **المرجع السابق** ، ص 24.

2- **نفسه** ، ص 95.

3 - موسى بن موسى: **المرجع السابق** ، ص 154 .

تقديم الدروس الفقهية، وهذا ما يدل على الجهد الكبير الذي يبذله هؤلاء المشايخ في سبيل إرساء ثقافة دينية لدى عامة الشعب الزقيمي، والتي تمكنه من مقاومة كل التيارات الجارفة والتصدي للسياسة الاستعمارية الهادفة إلى طمس الهوية الوطنية[1].

5- الميدان الصحفي:لقد كان الميدان الصحفي جانبا خصبا لرجال الإصلاح بقرية الزقم، لكي يُسمعوا صوتهم سواء للسلطات الفرنسية في شكل احتجاجات أو رسائل أخرى تحمل طابع تأييدي للجمعية،كل تلك الجوانب تناقلتها صحف الجمعية، مثل الشهاب والصراط السوي والبصائر، وفيما يلي سنورد بعض النماذج من الرسائل الموجهة من شيوخ قرية الزقم إلى الصحافة الوطنية ابتداء من سنة 1926م إلى غاية 1934م كالاتي:

1- رسالة من السيد بن السالمي سالم بن الطاهر إلى مجلة الشهاب سنة 1926م حيث طالب فيها باسم كامل سكان قرية الزقم بإنشاء مدرسة للتكوين المهني بقرية الزقم[2].

1-رسالة من السيد أحمد ساعي من قرية الزقم إلى السيد الوالي العام بالجزائر منشورة في مجلة الشهاب بتاريخ 26 أفريل عام 1928م وكان موضوعها المطالبة بإلغاء ضريبة النخيل.

2-رسالة احتج فيها السيد أحمد ساعي حول اضطهاد وادي سوف وملحقاته[3] من خلال فرض ضريبة التمر، إضافة إلى ضريبة النخيل وذلك منشور في مجلةالشهاب بتاريخ 1928 م العدد 144.[4]

3- رسالة من السيد الطاهر محمد إلى الشريف سيسبان الوكيل الشرعي ببانتة[5]، وممثل العمال والنائب المالي نشرت في مجلة الشهاب بتاريخ 11 جوان 1928م، وكان

1 - يوسف زغوان : **الجهود العلمية والثقافية** ، ص 79.

2 - علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف** ، ص 194.

3- ينظر الملحق رقم - 04 -

4 - الشهاب : س 3 ، ع 144 ، الخميس 06 ذوالقعدة 1346هـ / 26 أفريل 1928 م .

5 - ينظر الملحق رقم - 05 -

موضوعها الالتماس والطلب من هذا السيد التدخل لدى السلطات لرفع الضرائب المفروضة على النخيل وغيرها ، وكذلك رفع المظالم المسلطة على السكان[1].

4- رسالة من أعيان وفضلاء الزقم[2] نشرت في مجلة الصراط السوي بتاريخ 11 ديسمبر 1933م العدد 13، وهي عبارة عن رسالة تأييد مطلق وتام إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[3].

5- رسالة من الشيخ إبراهيم كلكامي إلى جمعية العلماء[4]، وهي عبارة عن تأييد مطلق لها، لكنها تحمل احتجاج على عدم نشر بقيه الأسماء لشيوخ وأعيان بلدة الزقم ، والتي لم تنشر في الرسالة الأولى، ذلك في عدد مجلةالصراط 17 المؤرخ في 1934/1/18م الصفحة الخامسة حيث أعقب المقال باعتذار رسمي من هيئة تحرير جريدة الصراط[5].

6- كانت هناك عديد الرسائل من طرف محمد الساسي معامير، وكذلك حامد بدير والشيخ محمودي خالد حملت في طياتها مواضيع مختلفة في الأدب والثقافة وأحداث المنطقة وغيرها من المواضيع الهامة[6].

7- كما كانت هناك رسائل تحمل طابع التهنئة والوّد ومنها التي بعث بها الشيخ إبراهيم كلكامي إلى السيد أحمد بن عبدالله بمناسبة ازديان فراشه بمولود جديد[7]

إن هذا الاتصال الوثيق بالجانب الإعلامي يدل على النضج الكبير الذي يتمتع به أهالي بلده الزقم. وذلك من خلال الاعتماد على هذا الجانب في إيصال الصوت المحلي، وكذلك رفع الانشغالات التي ترهق كاهل السكان إلى مثل هذه الصحف لتصل إلى مسامع السلطات الفرنسية.

---

1 - الشهاب : س 4 ، ع 154 ، الخميس 17 محرم 1347هـ / 05 جويلية 1928م .

2- ينظر الملحق رقم - 06- .

3 - الصراط السوي : س1 ، ع 13، الاثنين 23 شعبان 1352هـ الموافق لـ 11 ديسمبر 1933م.

4 ينظر الملحق رقم - 07- .

5 - الصراط السّوي : س 1 ،ع 17 ، الاثنين 22 رمضان 1352 هـ الموافق لـ 08 جانفي 1934م .

6 - المولدي صيشي: **المرجعالسابق** ، ص 80.

7 - البصائر : س 2 ، ع 60 ، الجمعة 13 محرم 1356هـ الموافق لـ 26 مارس 1937 م .

وفي ختام هذا الفصل ومن خلال دراستنا لجوانب الحركة الإصلاحية المحافظة نستنتج ما يلي:

✓ إن هذه الحركة كانت وليدة انفتاح المنطقة على العالم الخارجي، كما أن الطابع العريق للمنطقة المتسم بالمحافظة على العلم والدين هو الذي أهّل هذه المنطقة بأن تكون حاضنة للإصلاح والمصلحين.

✓ إن عامل الهجرة قد لعب دوره في المساهمة والمشاركة في إيصال الأفكار الإصلاحية لمنطقة سوف عامة والزقم خاصة من خلال الاحتكاك الذي جرى بين المهاجرين والمناطق التي كانوا يذهبون إليها خاصة الأفكار الإصلاحية المشرقية، وكذلك الأفكار الإصلاحية في مجال الدين من طرف هؤلاء المتخرجين من جامع الزيتونة، والتي كانت منطقه الزقم تعّج بهم، حيث كان ثلث الطلبة السوافة المقيمين بتونس من منطقة الزقم،كما كان لهذه الهجرة دورا في توطيد العلاقات بين المهاجرين سواء في مناطق الخارج أو مناطق الداخل.

✓ لقد لعب أعلام الكتلة المحافظة في منطقة الزقم، وهم الشيوخ الذين تلقوا التعليم الأول بالمنطقة، ثم هاجروا إلى تونس خاصة لتلقي العلوم والاستزادة منها دورا كبيرا في تنوير المنطقة علميا ودينيا وثقافيا واجتماعيا، هذه المنطقة التي كانت تعّج بالمصلحين ورجال الدين الحافظين للقرآن الكريم.

✓ لقد تعددت الميادين التي نشط من خلالها قادة الإصلاح في منطقة الزقم، حيث كان التعليم هو الأساس المتركز عليه ليأتي بعده الجانب الفقهي ثم الجانب الاجتماعي ومحاربة الفساد الأخلاقي إضافة إلى الدروس والخطب الوعظية من أجل المساهمة في تنوير المجتمع والخروج به إلى بر الأمان، كما كان للميدان الصحفي دوره البارز في إيصال الصوت والتعبير عن الانشغالات التي تخص القرية خاصة وسوف عامة.

الفصل الثالث:

تطور الحركة الاصلاحية بمنطقــة الــزقــم (1937-1957م)

أولا – زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين للمنطقة وانعكاساتها.

ثانيا– أحداث أفريل 1938 بالمنطقة وانعكاساتها.

ثالثا– تأسيس مدرسة الإصلاح ودورها الريادي بالمنطقة.

رابعا– التعليم الفرنسي بالمنطقة وموقف الأهالي منه .

خامسا – مساهمة رجال الإصلاح بالمنطقة في الحركة الوطنية والثورة التحريرية.

أولا – زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين للمنطقة وانعكاساتها:

لقد كانت قرية الزقم من أكثر الحواضر بوادي سوف تمسكا بالعلم وأهله، فكانت نسبة حفظة القرآن عالية جدا، فلا يكاد يخلو بيت من حافظ لكتاب الله، وبالتالي فإن الأرضية الصلبة التي يمكن أن يبنى عليها الإصلاح موجودة من قبل، وهكذا فعند وصول وفد الجمعية للمنطقة وجد هذا الرصيد العلمي موجودا، وبالتالي عمل على هيكلته وتنظيمه فقط، كما عمل على تشكيل شعبة تابعة للجمعية بالقرية.

1- نزول الوفد بأرض سوف[1]: بعد انضمام الشيخ عبد العزيز الشريف إلى جمعية العلماء، بادر بتنظيم زيارة لرئيس الجمعية بمعية وفد هام في شهر ديسمبر سنة 1937م، وضّم الوفد كل من: الشيخ عبد الحميد بن باديس، الفضيل الورتلاني، مبارك الميلي، محمد خير الدين، العربي التبسي والشيخ حمزة بكوشة[2].

قام الوفد بزيارة معظم قرى وادي سوف والتقى بعامة الناس، وفي هذا الصدد نستشهد بما كتبه خير الدين في مذكراته ، حيث يقول:" انتشرت وفود الجمعية في كل مكان، وفي الوفود التي شاركت وفد الصحراء الذي تكون من ابن باديس ومبارك الميلي، زار هذا الوفد وادي سوف وكانت معقلا من معاقل الطرقية التي تناهض حركتنا الاصلاحية، لكن الحركة الاصلاحية سرت في كل مكان، وأصبح لها أتباع ينتصرون بها وتنتصر بهم، ومن جملة الشخصيات التي أنظمت إلى حركتنا وأصبحت عضوا عاملا في إدارة الجمعية عبدالعزيز الشريف رئيس الطريقة القادرية "[3].

1- ينظر الملحق رقم – 08 –

2 – الموقع الالكتروني: **زيارة الشيخ عبدالحميد بن باديس لوادي سوف سنة 1937**، https://ouadisoufnew.blogspot.com، تاريخ النشر : 08 جانفي 2013، متاح يوم : 26فيفري 2023، العاشرة صباحا .

3 – محمد خير الدين: **مذكرات**، ج1، مطبعة دحلب، حسين داي، الجزائر،1985، ص 280.

لقد كان لهذه الزيارة أثرها بالمنطقة رغم ما كتبه الشيخ حمزة بوكوشة من أنّ أصحاب الاتجاه الطرقي قاموا بمهاجمة الحركة الإصلاحية ومحاولة القضاء عليها في مهدها[1].

أُستقبل الوفد في مدينة قمار بحفاوة من طرف الشيخ الأخضر شبروا رئيس خلية جمعية العلماء بالوادي وهو زيتوني الدراسة، اشتغل باش عدل بمحكمة قمار، وكان معه السيد عبد الكامل النجعي أمين مال شعبة الوادي، وعند نزول الوفد من السيارة قدّم لهم السيد الطيب بن الحاج عبدالقادر فرحات باقة من الزهور صحبتها أبيات شعرية منها قوله:

يا باقة أبدي السلام اللائقا وإلى الرئيس صلي احتراما فائقا

كما تجمع الناس خارج البلدة احتفالا بالوفد، وتم تقديم القهوة لهم، حينها تقدم السيد محمد الطاهر بن بلقاسم وقدم خطاب الترحيب وألقى قصيدة شعرية في مطلعها:

هبي يا قرية الرمال وهبي واجبات اللقاء إلى خير وفد
مرحبا باللذين هبوا لحق أهله ضيعوه عن غير عمد
نفخوا في البلاد روحا فأمست أمة تعرف الحقوق وتفدي[2]

بعدها قام الوفد بزيارة إلى مكتب الحاكم العسكري الذي ثارت مخاوفه من هذه الزيارة، لكن الشيخ ابن باديس طمأنه وقال له أنا كفيل بأن لا يحدث شيء مما تخشاه، بعدها توجه الوفد إلى زاوية عبد العزيز الشريف وتناول وجبة الغذاء هناك، وفي صباح الغد توجه الوفد إلى قرية عميش ومنها إلى مسجد الشيخ الهاشمي، حيث ألقى ابن باديس خطابا توجيهيا، ثم عاد

1 – البصائر: ع 93، س 3، الجمعة 28 شوال 1356هـ الموافق لـ 31 ديسمبر 1937م

2 – إبراهيم مياسي : **الإمامعبدالحميدبن باديس في سوف** ، https://binbadis.net/archives/1941/amp ، ص10.

إلى الوادي لتناول الغذاء على مائدة الشيخ عبد العزيز، وبعد الظهر توجه الوفد نحو قرية الزقم[1].

2- نزول الوفد بقرية الزقم[2]: نقلت جريدة البصائر تفاصيل هذه الزيارة بقلم الصحفي حمزة بوكوشة حيث يقول : "... ثم غادرنا البهيمة والشمس آذنة في المغيب فصلينا المغرب بقرية الزقم، واستقبلنا أهلها استقبالا رائعا خارج البلدة ثم ذهبنا إلى المحل الذي أُعد لإلقاء الدروس ... " ، حيث ألقى الشيخ أحمد الغولي أحد متطوعي جامع الزيتونة، خطاب الترحيب نيابة عن سكان القرية[3]، وبعدها ألقى الشيخ ابن باديس درسا في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيم بَنِيه وَ يَعْقُوب﴾سورة البقرة الآية 132،ثم تكلم الشيخ عبد العزيز في ثلاث مسائل وهي:

- جمعيةالعلماء وأهميتها وضرورة الانضواء تحت لواءها.
- قضية الطرقيين.
- أذناب الحكومة الاستعمارية الذين ينتسبون إليها وهي بريئة من أفعالهم.

قدّم الشيخ عبد العزيز كلمة شرح فيها المسائل الثلاث شرحا وافيا ، فحث الناس على اتباع جمعية العلماء وعدم الاكتراث بأذناب الاستعمار، كما نصح بجلب مدرس مصلح يشرف على شؤون التعليم وأمور الدين ويعمل على تهذيب الأولاد بالقرية، وبعدها تقدم الشيخ العربي التبسي ليلقي درسا في قول النبي صلى الله عليه وسلم: " الدين النصيحة " – الحديث –، ثم قام الشيخ مبارك الميلي وألقى درسا في الهداية الإسلامية وما تتطلبه، وبعدها ألقى الشيخ خير الدين كلمة عن فوائد تأسيس شعبة لجمعية العلماء ورغب على ذلك أهالي القرية ، فقاموا

1- **زيارة الشيخ عبدالحميد بن باديس إلى سوف** – الحلقة الأولى (1)، https://guemar.org/ /.

2 – ينظر الملحق رقم – 09 –

3 – البصائر : ع 94، س 3، الجمعة 05 ذو القعدة 1356هـ الموافق لـ 07 جانفي 1938.

بتأسيسها في الحال[1]، بعد ذلك تناول الوفد وجبة العشاء لتلك الليلة وبات في القرية وفي صباح يوم الجمعة أكمل طريقه عائدا إلى الوادي[2].

3- تأسيس شعبة الزقم ونشاطاتها: لقد كان وصول وفد جمعية العلماء إلى منطقة الزقم في جو من البهجة والسرور، وإقامة الولائم احتفالا بقدوم هذا الوفد، وبناء على توجيهات أعضاء الوفد وعلى رأسهم الشيخ بن باديس والشيخ خير الدين الرامية إلى تأسيس شعبة للجمعية بالقرية تكون نواة للعمل الإصلاحي، وبالفعل تمت الاستجابة لهذا الطلب، وتم تأسيس هذه الشعبة ليلة الزيارة أي يوم الخميس، وقد تكونت من السادة الآتية أسماءهم وجلهم من الشيوخ والعلماء البارزين في القرية:

- **الشيخ معمري عبدالرحمان:** رئيس الشعبة.
- **الشيخ كلكامي إبراهيم:** نائب الرئيس.
- **الشيخ محمد حامد بدير :** كاتب عام للشعبة.
- **الشيخ أحمودة العروسي :** نائب الكاتب العام[3] .
- **الشيخ عباسي مسعود :** أمين المال .
- **الشيخ احمودة العربي :** نائب أمين المال .
- **الشيخ محضي محمد حامد:** مراقب[4].
- **احمودةعبدالله :** عضو مستشار .

---

1 – سعيدة عمان: **المرجع السابق** ، ص 168 .

2 – مصطفى لمين لعويد: **الدور الاصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف ووادي ريغ** ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي ، 2015-2016م، ص 69 .

3 – موسى بن موسى : **جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف بين التحامل الاستعماري والتدافع الطرقي (1931-1937م)**، مجلة البحوث والدراسات ، ع 16 ، س 10 ، 2013 ، ص294 .

4 – أحمد شوقي بوليفة : **المرجع السابق** ، ص 72.

- **بوكي فرج** : عضو مستشار.
- **حميداني محمد بن الحاج** : عضو مستشار .
- **أحمد ساعي** : عضو مستشار .
- **تليه العزوزي**: عضو مستشار .
- **مومني بوبكر** : عضو مستشار [1].

هذا وقد كان أعضاء الشعبة يزاولون نشاطهم الإصلاحي في مختلف الميادين، مثل التعليم القرآني ودروس الفقه والتفسير وتعليم الصغار، وكذلك دروس للعامة والإصلاح الاجتماعي ومحاربة الأفكار الفاسدة والأخلاق الهجينة، كما كان لهم دور رئيسي بالقيام بأعباء المجتمع بعد زيارة الوفد، وكان للشيخ إبراهيم كلكامي دورا في العمل الاصلاحي والتربوي خاصة بعد تأسيس مدرسة الإصلاح سنة 1943م، وقد كان جدول التوزيع الخاص بالمهام والعمل اليومي بمكتب الشعبة قائم ومقسم على النحو الآتي:

- **عبدالرحمان معمري** : مكلف بدروس التفسير .
- **عباسي مسعود** : مكلف بدروس الفقه.
- **محمد حامد بدير** : مكلف بدروس النحو .
- **محضي محمد حامد** : مكلف بدروس النحو[2].
- **حمودة العروسي** : رفقة معمري عبدالرحمان مكلفين بتعليم القرآن للصبيان، وكذلك ومبادئ اللغة العربية والأدب والتوحيد[3].

كما كان لأعضاء الشعبة وخاصة معمري عبدالرحمان وكلكامي إبراهيم نشاطات خارج القرية، ومن ذلك التجمع الذي أُقيم بقرية الجديدة رفقة حويتي العروسي من الدريميني وأحمد

1 – المولدي صيشي : **المرجع السابق** ، ص 72.

2 – **نفسه** ، ص 73.

3 – سعيدة عمان : **المرجع السابق** ، ص 175.

خزازنة من الدبيلة، حيث تميز الحفل بإلقاء الكلمات والخطب والشعر وكلها تشيد بدور جمعية العلماء والحث على العلم والتعليم وتدريس القرآن ومحاربة الجهل والتخلف، وقد احتفظت ذاكرة المجاهد داسي محمد الساسي الملقب بالشهيد الحي قصيدة ألقاها العروسي حويتي سنة 1949م بهذه المناسبة، وكانت تحت عنوان " شباب الجديدة "، وهذه أبيات منها:

شباب الجديدة لا تشتغل بغير العلم وحب العمل
شباب الجديدة أنت المنى وأنت الحياة وأنت الهناء
وأنت الأساس لكل بناء فبالجهل واللهو لا تحتفل
أجيبوا دعاء ناصح مستمر فإن الأوان أوان العمل[1]

وبالتالي يمكن القول أن زيارة الوفد إلى قرية الزقم كان بمثابة إعطاء الغطاء التنظيمي والهيكلي للحركة الإصلاحية التي أصبحت أكثر نشاطا وتنظيما[2].

لكن هذا النشاط لقي معارضة شديدة من قبل السلطات الفرنسية، إذ قامت بمتابعة أصحابه وزجهم في السجون، مما جعل أغلبهم يترك البلاد ويهاجر مثلما فعل محمد بدير والشيخ أحمد الغولي، وهو ما سيتجسد في ردة فعل السلطات مستقبلا فيما يعرف بأحداث أفريل 1938م[3].

ثانيا: أحداث أفريل 1938م بوادي سوف وانعكاساتها على منطقة الزقم:

لم تمضي سنة على زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين إلى وادي سوف وقرية الزقم حتى صدر قانون 08 مارس 1938م، الذي يمنع التعليم الديني الحر ، حيث بادرت السلطات

1 – المولدي صيشي : **المرجعالسابق** ، ص 84.

2 – أحمد شوقي بوليفة : **المرجع السابق** ، ص 73.

3 – سعيدة عمان : **المرجع السابق** ، ص 175.

الفرنسية في وادي سوف بتنفيذه قبل غيرها من المناطق، فأصدر الوالي العام للجنوب أوامره بإلقاء القبض على كل عالم وشيخ دين وطالب علم ينتسب إلى الجمعية، فكانت الوسائل المستخدمة عبارة عن قوانين حكومية وقرارات إدارية مبنية وفق إعازات بوليسية توجهها الروح الانتقامية ضد السكان العزل، فكان يوم 18 أفريل في وادي سوف وقرية الزقم مشهودا، حيث حكى عنه الشيخ ابن باديس في مجلة البصائر قائلا :" شهد وادي سوف هولا منقطع النظير اهتزت له المشاعر والضمائر الحيّة حتى من الفرنسيين أنفسهم، ذلك أنّ قنابل الأرض وصواعق السماء كادت أن تغرق أهل سوف في بحر من النار والدم بسبب استجابتهم لجمعية العلماء وقيامهم بنشر دعوتها بين أهلهم "[1].

لقد شهدت قرية الزقم في هذا اليوم ـ كل أنواع التنكيل والتعذيب والاعتقال والاستنطاق والمداهمات وجرائم اللفيف الأجنبي(السنغاليين)، التي طالت الأشخاص والممتلكات والمقدسات، حيث سدت الطرق بالدبابات والسيارات العسكرية ،واستمرت أعمال العنف والحصار حسب جريدة البصائر ثلاثة أسابيع بأيامها ولياليها، ذاق فيها الأهالي كل أنواع التعذيب والبطش، حيث عطلت الأسواق وأغلقت المحلات التجارية وشلت الحركة في ربوع القرية وسوف عامة، حيث عبّر الشيخ عبد الحميد بن باديس وهو يتابع الأحداث بقوله :" إنّ ثلاثين امرأة وضعت حملها خلال هذه الأيام، ولم ينجو عالم ولا متعلم من الاستنطاق والتفتيش والتعذيب والاعتقال ."[2]

لقد اعتقل علماء بلدة الزقم وزجّ بهم في سجن تقرت العسكري، وهم أعضاء الشعبة بدءا بالشيخ عبدالرحمان معمري وكذلك إبراهيم كلكامي وأحمد الغولي والطاهر معمري، ومسعود

1 – العربي بلعزوز : **نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجنوب الجزائري وأحداث وادي سوف (1937-1938م) من خلال تقارير عسكرية** ، مجلة عصور الجريدة ، مج 12، ع 1 ، ماي 2022، جامعة الشلف ، ص 389.

2 – المولدي صيشي ، **المرجع السابق** ، ص 80.

عبّاسي، حيث مورس في حقهم شتى أنواع التعذيب[1]، وقد أستثني الشيخ الطاهر معمري بعد مدة من التعذيب وأفرج عنه بسبب كبر سنه، ومما يذكر حسب شهود عيان أنّ هؤلاء المساجين ألقي عليهم القبض وهم بثياب النوم ولم يسمح لهم بارتداء الثياب الأخرى، غير أنّ سكان القرية أرسلوا لهم لباسهم في اليوم الموالي خفية عن أعين المستعمر[2].

ومما يروى في هذه الحادثة أنّ القبطان المسؤول عن سجن هؤلاء قد أساء معاملتهم كثيرا ومنع عنهم حتى الماء للوضوء، فاغتاظ الشيوخ كثيرا وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فتوجهوا بتضرعهم إلى الله عز وجل في أحد صلواتهم خلف الشيخ عبد الرحمان معمري صاحب الصوت الجهوري العذب، حيث توجهوا بعد الصلاة إلى الله بالدعاء، فلم ينقضي ذلك اليوم حتى أصيب ذلك القبطان بشلل نصفي، ولمّا أرادوا نقله للعلاج تذكر الشيوخ حيث أمر بإخراجهم من السجن وإطلاق سراحهم، وذلك بعد أن اعتذر منهم وودعهم[3].

لقد كان لهذه الأحداث انعكاساتها عل منطقة سوف كاملة، فجمعية العلماء وعلى لسان حال رئيسها المتتبع للأحداث أصدر العديد من التنديدات والبيانات حاثا من خلالها سكان وادي سوف عموما بالصبر والثبات والتمسك بالمبادئ، داعيا الله أن تزول هذه الشدة بسلام، كما قام بنشر العديد من المقالات في جريدة البصائر خاصة عدد 113 بتاريخ 13 ماي 1938م[4] ، كما ظهر مقال آخر في نفس العدد موجها إلى الحاكم العام للأقاليم الجنوبية تحت عنوان " **ماذا يقع في الجنوب إندوجينا جديدة بعد مئة وثمان سنوات** "، كما عبّر قائلا " أن هذه الأعمال لا تزيدنا إلاّ إصرارا على مواصلة العمل وتزيد الاستعمار انكسارا " [5]، كما برز العدد 121 بتاريخ

1 – موسى بن موسى : **الحركة الاصلاحية** ، ص 193 .

2 – المولدي صيشي : **المرجع السابق** ، ص80.

3 – **نفسه** ، ص81 .

4 – البصائر : ع 113، س 3، الجمعة 13 ربيع الأول 1357 هـ الموافق لـ 13 ماي 1938 م.

5 – البصائر : **المصدر نفسه** .

08 جويلية 1938م تحت عنوان: **كارثـة وادي سـوف**[1]، وفي11 أوت1939م صدر العدد 178 تحت عنوان أشد لهجة وأبلغ تعبيرا فكان : **هل فـي سـجن الكديـة مـا يـذكرنا بالباسـتيل**، وختم المقال قائلا :" إنّ التاريخ سجّل على فرنسا وكتب على صفحات القلوب بأقلام الضلوع وحبر الدموع أن المتسلّطين تعاقدوا على قتل الحياة والحرية والكرامة "[2].

لقد كان هذا رد فعل جمعية العلماء على هذه الحوادث الأليمة، أما محليا فقد زادت هذه الأحداث من عزيمة السكان وتصميمهم المحافظة على ثوابتهم وإصرارهم على مواصلة السير في طريق الحرية مهما كان الثمن، كما أكدت هذه الحوادث على همجية المستعمر الذي لا يفرق بين أحد وأحد، كما لم تسلم من همجيته حتى أماكن العبادة ورموز الدين[3] .

وبعد هذه الحوادث الأليمة التي برهنت للمستعمر على مدى التفاف المجتمع السوفي عامة حول قضية واحدة، راحت سلطات الاحتلال تحيك المكائد الواحدة تلوى الأخرى من أجل ضرب البنية الاجتماعية في وادي سوف.

هذا وقد وضعت السلطات الفرنسية وادي سوف كلها وخاصة منطقة الزقم تحت المراقبة وحاولت اختراق جدارها الحصين، هذا الجدار الذي تمثله الشخصية النابعة من التمسك بالدين والأخلاق الفاضلة والغيرة على الأعراض وغيرها من صفات وأعراف المجتمع، وذلك من خلال إعلان الطبيب الفرنسي في القرية سنة 1941معن عملية تسمى (فصد النساء)، أو ما يعرف عندنا اليوم بعملية التلقيح أو التطعيم، حيث قام الأهالي بمظاهرة احتجاجية ضدّ هذه العملية، مما أدى بالقوات الفرنسية إلى التدخل وفرض حالة حظر التجوال بالزقم على الرجال دون النساء، كما أصدرت الإدارة الفرنسية أمرا يقضي بأن كل امرأة تخرج يومها إلى حملة التطعيم يعطى لها (بون كتّان)، أي وصل لاقتناء الكسوة، أي أن السلطات الفرنسية كانت تعمل على

1 – البصائر : ع 121 ، س 3 ، الجمعة 10 جمادي الأولى 1357 هـ الموافق لـ 08 جويلية 1938 م .

2 – البصائر : ع 178 ، س 4،الجمعة 24 جمادي الثانية 1358هـ الموافق لـ 11 أوت 1939م .

3 – المولدي صيشي : **المرجع السابق** ، ص 81.

وتر رقيق، وهو المرأة لبث الفرقة والشقاق وضرب الوحدة الأسرية والاجتماعية، كما أنّها أصدرت أوامرها بأنّ كل من يخالف التعليمات يعاقب بالسجن والتغريم[1]، وقد سجل الشعر الشعبي هذه الحادثة بقصيدة أصبحت تلقى في الأعراس والمناسبات هذه أبيات منها:

(عهد رخص الرجال)

قـدّاش رخصـتوا اليـوم يـا رجالـة بعـد الحـرم ولاّ الطحـين قبالـه
قـالوا يـا مـا طمهـا شـوها الرجالـة إتّقـت والمـرا نادوهـا
رفعـوا لغـلاق عـن زنـدها شـلطوها يـاو مكبـر داكـم
جـت الجريـدة وعيطـوا باسـماكم بـون الكتّـان راهـي هزاتـه نسـاكم
قـدّاش رخصـتوا اليـوم يـا رجالـة بعـد الحـرم ولاّ الطحـين قبالـه[2].

إنّ كل هذه الأمور تدخل في إطار السياسة العامة الفرنسية الرامية إل مسخ وطمس المجتمع وتجريده من كل ثوابته وهذا عن طريق ايجاد المنافذ من أجل اختراقه، كما يبين استغلال فرنسا للمرأة من أجل ضرب وحدة المجتمع، وهذا ما تستخدمه الدول الكبرى في سياساتها باسم الحرية .

ثالثا- تأسيس مدرسة الاصلاح ودورها الريادي بمنطقة الزقم:

تعتبر بلدة الزقم من أهم حواضر البلاد السوفية خاصة في مجال العلم والمحافظة على الدين، وهذا ما يتجلى بوضوح من خلال هجرة العديد من طلبة العلم نحو جامع الزيتونة،وهو ما انعكس بالإيجاب على المنطقة من خلال بروز نخبة زيتونية مثقفة أخذت على عاتقها مسؤولية الارتقاء بمجتمع القرية في جميع الميادين وخاصة الجانب التعليمي والاصلاحي والاجتماعي،

1 - المولدي صيشي : **المرجع السابق** ، ص 84 .

2 - **نفسه** ، ص 84 .

ومن أهم هؤلاء المصلحين في قرية الزقم نجد الشيخ إبراهيم كلكامي الذي عمل على تأسيس مدرسة حرّة على غرار مدارس جمعية العلماء المسلمين وذلك بعد عودته من جامع الزيتونة سنة 1943م، والتي أطلق عليها مدرسة الاصلاح[1].

1- ظروف وعوامل نشأة المدرسة : لاشك وأنّ لكل حدث تاريخي ظروف محيطة به وكذلك مجموعة من الأسباب والعوامل التي كانت دافعا لوقوعه أو التفكير في إنجازه على أرض الواقع ، ومن هنا يمكن حصر العوامل التي أدت إلى تأسيس مدرسة الاصلاح كما يلي:

1- أ- سياسة فرنسا التعليمية : والتي قامت على أساس محاربة الشخصية الوطنية كما أنّها حاربت التعليم العربي الاسلامي وشجعت انتشار الفساد الخُلقي، كما أنّها تسعى إلى انحلال المجتمع لذلك كان الموقف وهو الرفض والمقاطعة للتعليم الفرنسي، ولهذا كان الرد بإنشاء مراكز لترسخ التعليم العربي الحر[2].

1- ب - الحركة العلمية المحلية : لقد كان بقرية الزقم مجموعة من الشيوخ درس على أيديهم العلماء قبل التحاقهم بالزيتونة نذكر منهم يونس معمري، أحمد بدير، الساسي معامير ، عبدالرحمان معمري، وغيرهم وكلهم ساهموا في الحركة العلمية خاصة بعد الرجوع من جامع الزيتونة.

1- جـ – التأثر بأفكار جمعية العلماء: بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين ووصول نشاطها إلى وادي سوف تبنى أهالي قرية الزقم عموما الأفكار الاصلاحية، وقد تجسّد ذلك أثناء زيارة الوفد حيث تمّ تأسيس شعبة للجمعية بالقرية والتي كثفت من نشاطها حيث أصبح أكثر

1 – سعد العمامرة وأحمد منصوري : **المرجع السابق** ، ص 93.

2 – يوسف زغوان : **التعليم العربي الحر** ، ص 118.

تنظيما وهيكلة، وقُسمت المهام بين العماء والشيوخ وبذلك تغلغل الفكر الاصلاحي بمنطقة الزقم أكثر من غيرها[1].

1- د - امتداد نشاط الحركة التنصيرية للقرية: لقد كانت السياسة الفرنسية تراهن على مسخ كل مقومات المجتمع الجزائري ودمجه وإذابته كليا في المجتمع الفرنسي، وهذا ما نلاحظه بقوة في تشجيع الدولة الفرنسية لنشاط الحركة التنصيرية ، وذلك من خلال نشاط الجمعيات ذات الطابع الانساني للسيطرة على عقول الناس وكسب ثقتهم، حيث كان أحد أعضاء **جمعية الآباء البيض** يأتي من حاضرة الوادي مشيا على الأقدام إلى منطقة الزقم وهو حامل معه نسخ متعددة من الانجيل، حيث يتوجه إلى كتاتيب القرية أين يدرس الصبيان القرآن الكريم ويقوم بتوزيع هذه النسخ على تلاميذ الكتاتيب، وقد كان الشيخ إبراهيم كلكامي من أشّد المحاربين لهذه الظاهرة والمتفطنين لها، حيث كان ينصح التلاميذ بأخذ هذه النسخ من هذا الشخص ثم يتم حرقها بعد ذلك.

1- هـ - تغاضي القائد المسؤول عن نشاط العلماء بقرية الزقم: لقد كان المسؤول عن منطقة كوينين والزقم متغاضيا نسبيا عن نشاط العلماء التعليمي والاصلاحي للمنطقة، كما كانت علقته ودية مع شيوخ القرية، وهذا ما نلمسه من خلال نصحه للشيخ عبد الرحمان معمري بأن يغادر القرية لأنه مراقبا من طرف الادارة الاستعمارية[2].

2- تأسيس المدرسة وطبيعة شيوخها: رغم أنّ النشاط الاصلاحي والتعليمي في قرية الزقم ساهم فيه مجموعة من الشيوخ ذوي الخبرة والكفاءة، إلاّ أنّ الشيخ إبراهيم كلكامي يعتبر رائد التعليم العربي الحر في القرية، وذلك لتأسيسه لمدرسة الاصلاح، ومن المعلوم أنّه كان ضمن المجموعة التي استقبلت وفد الجمعية بالقرية، كما عيّن نائبا لرئيس الشعبة ونظرا

1 - يوسف زغوان : **التعليم العربي الحر** ، ص 119.

2 -- **نفسه** ، ص 120

لظروف الحرب العالمية الثانية التي تصادفت معه وهو في تونس مما اضطره للعودة إلى بلدته الزقم وذلك سنة 1943م، حيث قاد الحركة التعليمية والاصلاحية بها من خلال تأسيسه لمدرسة حرة على غرار مدارس جمعية العلماء اطلق عليها اسم مدرسة الاصلاح، وذلك في نفس سنة عودته، ولم يكتفي بالنشاط التعليمي فقط، بل كان مرشدا ومحاربا للبدع والخرفات ناصحا للشباب وهكذا كان بمثابة شيخ القرية[1].

لقد اختص الشيخ كلكامي إبراهيم وانفرد بمهمة التدريس بمدرسة الاصلاح وحده دون غيره، فكان شيخها الوحيد، وكان شغله طول النهار هو التعليم لأنه ظروفه المادية كانت حسنة وبذلك لم تفرض المدرسة دفع اشتراكات على التلاميذ إلاّ من تبرع أو تطوع بمحض إرادته، وقد كان هدف الشيخ تكوين نخبة مثقفة ومتعلمة تستطيع أخذ المشعل الاصلاحي للنهوض بالبلاد والعباد، حيث بلغت شهرته إلى طلبة وادي سوف بجامع الزيتونة، فالشيخ كان مصلحا ووطنيا في آن واحد، حيث كان من الأوائل الذين انظموا إلى صفوف الثورة بعد اندلاعها سنة 1954م، كما كان يجمع التبرعات ويشحن الهمم إلى غاية إلقاء القبض عليه واعدامه في شهر رمضان 1957 م[2].

3- مقر المدرسة [3] وطبيعة تلاميذها : لقد أسست مدرسة الإصلاح في مقر بسيط بساطة الحياة يومها، وهو عبارة عن غرفة واسعة منحها السيد الطاهر بن نصر[4] ، وهو خال الشيخ إبراهيم كلكامي من الرضاعة، وهي مقابلة للمسجد الغربي من جهة الشمال، ثمّ انتقل الشيخ بعد أن كثر عدد التلاميذ للتدريس في الصباط التابع للزاوية الشرقية للمسجد الشرقي، وقد

1 - مختار قديري: **المدارس التعليمية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي " مدرسة الاصلاح بحاضرة الزقم – وادي سوف** - " ، نوفمبر 2020 ،جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي ، ص 423 .

2 - يوسف زغوان: **التعليم العربي الحر** ، ص 120.

3 - ينظر الملحق رقم -10 -

4 - سعيدة عمان : **المرجع السابق** ، ص175.

أُزيل هذا الملحق بالجامع الشرقي حاليا، ولايزال المقر الأول للمدرسة موجودا شاهدا على تلك الحقبة التاريخية المهمة في تاريخ القرية[1].

أمّا عن طبيعة تلاميذ المدرسة فكلهم كانوا من الذكور، أمّا البنات فلم يدرسن بها وتعلمن القرآن الكريم فقط على يد الشيخ العربي أحمودة بن الطالب صالح وهو مصلح (كفيف)، وقد يرجع السبب إلى عدم تدريس البنات إلى الطابع المحافظ للقرية، وكانت وضعية التلاميذ بها أنّهم يجلسون على الحصير في شكل حلقة علمية مقابل شيخهم مباشرة وهي الطريقة المعتمدة في الزيتونة، كما أنّ معظم تلاميذ المدرسة من أبناء الفلاحيين البسطاء وكانت الفلاحة هي المشهورة بالبلدة وضواحيها وكذلك غرس النخيل، وكان معظم الأولاد يساعدون أولياءهم في العمل اليومي ومنهم من يدرس مدة سنة أو اثنين ثم ينقطع ومنهم من لا يدرس اطلاقا لحاجة والديه إليه[2].

لقد كان أغلب تلاميذ المدرسة من داخل قرية الزقم وقليل منهم يأتون من مناطق أخرى كالبهيمة، الطريفاوي وحاسي خليفة، وذلك يرجع إلى العزلة الكبيرة لبلديات وقرى سوف بسبب عدم وجود طرقات، لهذا كان من الصعب إكمال الدراسة لمدة أربعة سنوات كاملة، وفيما يلي سنذكر أبرز التلاميذ الذين درسوا في هذه الحاضنة العلمية: حيث نجد محمد العربي خطروي وأخوه محمد العيد الذي هاجر إلى الحجاز وتوفي بها، كما نجد أيضا أخوهما عبدالله[3]، ومنهم أيضا الشيخ عزالدين عباسي الذي تحرج من جامع الزيتونة بشهادة التحصيل وله عديد المؤلفات خاصة في الجانب الديني[4].

---

1 – سعد العمامرة وأحمد منصوري ، **المرجع السابق** ، ص93.

2 – يوسف زغوان : **التعليم العربي الحر** ، ص 121 .

3 – مختار قديري : **المرجعالسابق** ، ص 428 .

4 – علي زواري أحمد: **العلاّمة محمد عزالدين عباسي حياته وجهوده العلمية** ، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، مج 7 ، ع 01، ماي 2021م ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي ، ص 63.

ومن تلاميذ المدرسة أيضا الشيخ جاب الله منصوري الذي تخرج من الزيتونة وزميله عبدالعزيز عصامي، أمّا الشيخ أحمد منصوري، والشيخ مسعود معمري فقد درسا بها وتوجها إلى جامع الزيتونة، لكن لم يكملا الدراسة بها نظرا للظروف المادية الصعبة التي لم تسمح لهما بذلك[1].

كذلك نجد الشيخ الساسي مناني الذي حصل على شهادة التطويع في المدينة، وكذلك الشيخ أحمد شوية وهو الآخر لم يكمل دراسته بالزيتونة لقساوة الظروف، ومنهم أيضا عمّار لخذاري الذي واصل دراسته بالزيتونة إلى أن حصل على شهادة التطويع، والشيخ أحمودة عبد الكامل لكن لفترة قصيرة ، كما لا ننسى الشيخ معمر حيلة وبن عيشة ومحمد الربيعي شوية، حيث كانت أعمارهم تختلف فمنهم من يدخل صغير السن نسبيا أي أقل من عشر سنوات، ومن من يدخل بعد ذلك بسنوات، وهناك عدد كبير ممن كان يحضر دروس الشيخ إبراهيم كلكامي ويعدّ من المستمعين الذين يحفظون ما يقوله الشيخ في دروسه سواء من الصغار أو الكبار[2].

4- منهج المدرسة وأطوارها التعليمية: لقد كان المنهج التعليمي المعتمد في مدرسة الإصلاح بالزقم ذو صبغة عربية إسلامية وتوجه إصلاحي وطني يهدف إلى تزويد المتعلم بمعارف تجعل منه شخصية عربية قوية وترسخ فيه مقومات وطنيته[3]، وقد كان هذا المنهج مستمد في كثير من مواده من البرنامج والمنهج المطبق والمعمول به في جامع الزيتونة[4]، وهذا راجع إلى تأثر الشيخ إبراهيم كلكامي بالمنهج الزيتوني وهو يعتمد على نظام السنوات الأربعة الابتدائية ويصبح تحصيل التلميذ في نهايته معادلا لمن لديه شهادة الأهلية بجامع الزيتونة ،

1 – لقاء مع الشيخ أحمد منصوري ، في بيته : يوم السبت 11 فيفري 2023 على الرابعة والنصف مساءا .

2 – يوسف زغوان : **التعليم العربي الحر** ، ص 123.

3- **نفسه**، ص 123.

4 – سعيدة عمان : **المرجع السابق** ، 175.

وفيما يلي سنقوم بذكر المواد التي يتم تدريسها للتلاميذ في مدرسة الاصلاح وذلك حسب السنوات المعتمدة :

4- أ – السنة الأولى : مادة التوحيد ، حيث يدرس التلاميذ نماذج من بعض النظم في هذا المجال مثل نظم الشرنوبي الذي يتألف من خمسة وعشرين بيتا ، أما مادة النحو فيتم دراسة متن الاجرومية ، وفي مادة الفقه يتم دراسة متن الميّارة وهي عبارة عن شرح لابن عاشر وهناك مواد أخرى كالبلاغة والجغرافيا والحديث وكذلك الصرف والأدب العربي[1] .

4- ب – السنة الثانية : يدرس فيها التلاميذ مادة التوحيد بشكل أكثر عمق ،حيث يتم دراسة متن السنوسية ، وكذلك جوهرة اللقاني في التوحيد ، وهي عبارة عن نظم يتألف من ثلاثين بيتا وهو القائل فيه :

من التطويل كلت الهمم فصار الاختصار فيها ملتزم

وفي مادة النحو يتم دراسة متن قطر الندى ووبل الصدى ، وفي الفقه الجزء الاول من الرسالة لابن ابي زيد القيرواني وأيضا البلغة وشيء من الجغرافيا والصرف والمنطق وكذلك التاريخ لمؤلفين من الزيتونة حول مراحل التاريخ الاسلامي بالخصوص .

4- جـ – السنة الثالثة : من أبرز المواد التي يتم تدريسها للتلاميذ في هذا الطور هي مادة الحساب وكذلك التعمق في مادة النحو من خلال دراسة ألفية ابن مالك ، أمّا في الفقه يتم دراسة الجزء الثاني من رسالة أبي زيد القيرواني إضافة إلى بعض المواد الأخرى التي لا تفارق كل الأطوار[2] .

1 – مختار قديري : **المرجع السابق** ، ص 427 .

2 –**نفسه** ، ص427 .

4- د – السنة الرابعة : في هذا الطور يتم اعتماد نفس المواد المدرّسة في جامع الزيتونة ، وهذه المواد هي الجزء الأول من شرح العلامة الدردير على مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي ، وكذلك الجزء الأول من شرح الأشموني على خلاصة ابن مالك في النحو والجزء الأول من التاودي على العاصمية ، وشرح الرّحبية في الفرائض ، وكذلك مُراح الأرواح في الصرف ، والجوهر المكنون للأخضري في علم البلاغة ، وشرح الوسطى في العقائد ، وشرح الشبرخيتي على الاربعين النووية وايصال السالك في أصول مالك ، وعلم الانشاء والرسم ، وأدب الدين والدنيا للماوردي ، وهذه هي كتب ومواد الطور الرباع من التعليم الزيتوني التي طبقت في مدرسة الاصلاح بحاضرة الزقم ، وقد كانت هذه السنة قبل سنة 1933م ، تعدّ السنة الأولى من التعليم المتوسط ، وكانت المرحلة الابتدائية تدوم ثلاث سنوات فقط، لكن ابتداء من سنة 1933م أصبح التعليم الابتدائي أربع سنوات تنتهي بشهادة الأهلية[1] ، كما كانت تدرس أيضا بعض الأناشيد الوطنية منها (شعب الجزائر مسلم ، اشهدي يا سماء واكتبن يا وجود) للشيخ عبدالحميد بن باديس ، كما كان للمدرسة نشطات أخرى كتقديم التمثيليات التي يؤديها تلاميذها وكذلك المحاضرات والاتصال بمختلف شرائح المجتمع وارشاده واجراء المحاورات معه[2] .

أمّا عن الوسائل المعتمدة في المدرسة (الأدوات) فهي : الكراريس والريشة والمحبرة، وكانت الامتحانات تتم حسب النظام الزيتوني وينظمها في بعض الأحيان الشيخ البشير ريغي ، حيث كوّن لجانا لإجراء الامتحانات للسنة الرابعة بنفس الطريقة المعتمدة في الزيتونة.

لقد لعبت مدرسة الاصلاح دورا بارزا في تعليم النشأ وتثقيفه وتكوين نخبة متعلمة ومتنورة يتم الاعتماد عليها لصناعة نهضة البلاد وكذلك دورها الاجتماعي المتميز من خلال

1 – يوسف زغوان : **التعليم العربي الحر** ، ص 125.

2 – لقاء مع الشيخ أحمد منصوري ، في بيته : يوم السبت 11 فيفري 2023 على الرابعة والنصف مساءا .

مكانة شيخها إبراهيم كلكامي وهذا ما ادى في الاخير إلى مراقبته من المستعمر ومن ثَمَّ إلقاء القبض عليه بعد اكتشاف علاقته بالثورة[1].

5- موقف الاستعمار الفرنسي من نشاطات المدرسة : لقد لاقى التعليم الاصلاحي بالجزائر عموما معارضة شديدة من قبل الاستعمار الفرنسي لأن هذا التعليم كان موجها لبناء الانسان أولا وإفساد المشاريع الفرنسية ثانيا[2].

لاشك أنّ مدرسة الاصلاح لم تخرج عن هذه القاعدة وقد كان نشاطها تحت مراقبة السلطة الاستعمارية رغم الحذر الشديد الذي اتصف به شيخ المدرسة وزملائه المصلحين من خلال إظهار المدرسة ككتّاب قرآني في شكلها الظاهري ، وكانت الدراسة تتم بعد خروج فوج تعليم القرآن الكريم، ثم بعد ذلك يدخل تلاميذ المدرسة لمزاولة دراستهم ، ومن أهم الاحتياطات التي اتبعها الشيخ إبراهيم كلكامي لتجنب سطوة الاستعمار عليها هو عدم تدريس بعض المواد التي قد تسبب نقمته، ومن ثم غلق المدرسة كمادة التفسير التي حظرتها إدارة المستعمر من التدريس خصوصا الآيات المتعلقة بالجهاد، كما لم يتوسعوا في تدريس مادة التاريخ خصوصا تاريخ الجزائر الذي تعتبر فرنسا تدريسه من الامور السياسية التي تهدد وجودها بالجزائر وبالتالي المعاقبة عليه [3].

ومن أهم الاشياء أيضا التي ساهمت في حماية المدرسة من خطر الغلق هو وجود القرية في منطقة نائية ومعزولة وبعيدة عن مراكز الادارة الفرنسية، وضعف المواصلات المؤدية إليها ،وكذلك بعد كوينين التي تتبع لها إداريا مقارنة بالحواضر والمراكز الأخرى ، كما أنّ الزقم بعيدة عن الدبيلة التي يوجد بها مركز " لاصاص " العسكري الخاص بالقرى الشرقية لسوف ،

1 – مختار قديري : **المرجع السابق** ، ص 429 .

2 – أحمد الخطيب : **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الاصلاحي في الجزائر** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1985م ، ص 196.

3 – يوسف زغوان: **التعليم العربي الحر**، ص126.

وكذلك بعيدة عن الوادي مقر الملحقة العسكرية ، ولذلك لم يذكر تلاميذها أنّها تعرضت للتفتيش أو التهديد بالغلق كما وقع في مدرسة قمار والخبنة[1] .

وبالتالي يمكن القول أنّ هذه التدابير المتّبعة بالإضافة إلى علاقة شيوخ القرية الحسنة مع قايد كوينين هي التي جعلت المدرسة تنشط في أمان نسبي وبعيدة عن أعين الاستعمار .

وبالرغم من كل هذه الاحتياطات والحذر الشديد في العمل في مدرسة الاصلاح إلاّ أنّ المستعمر الفرنسي لمّا اكتشف علاقة شيخها بالثورة التحريرية بادر بإلقاء القبض عليه مع عدد من زملائه المصلحين وقام بإعدامهم في مجازر رمضان 1957م[2]، وبذلك توقفت المدرسة عن نشاطها المكثف ، وإن بقي هناك نوع التعليم والاصلاح إلى غاية الاستقلال لكن بشكل سري .

رابعا – التعليم الفرنسي بمنطقة الزقم وموقف الأهالي منه:

عملت الادارة الفرنسية منذ استقرارها بالجزائر وبسط نفوذها على تأسيس المدارس خدمة لأغراضها الاستعمارية ، حيث تنوعت هذه المدارس من حيث التسمية والهيكلة باختلاف الظروف وطبيعة كل منطقة ، وأول مدرسة فرنسية في الجزائر تم فتحها لتعليم الجزائريين اللغة الفرنسية هي(المدرسة العربية الفرنسية) بالجزائر العاصمة ، وكان ذلك سنة 1836م[3].

وفي الحقيقة أنّه مع دخول سنة 1865م، بدأت قضية تعليم الجزائريين تلقى نوعا من العناية والاهتمام، فقد اقترح الحاكم العام (باتريس مكماهون) خلال تلك الفترة أن تكون البرامج التعليمية في المدارس العربة الفرنسية مشابهة لبرامج المدارس في فرنسا ، وبعد صدور مرسوم 13 فيفري 1883م وضعت الأسس العامة لتنظيم المدارس الأهلية بالجزائر[4].

---

1 – يوسف زغوان: **التعليم العربي الحر** ، ص 126.

2 – المولدي صيشي : **المرجع السابق** ، ص 87.

3 – البشير مقدود : **المرجع السابق** ، ص 145.

4 – **نفسه** ، ص 146.

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأنّ ظهور التعليم الفرنسي في وادي سوف ربما كان ضمن نتائج هذا المرسوم ، وبربط الأحداث كان لابد من الانتظار ثلاثين سنة أو أكثر بعد استقرار الادارة الفرنسية بمنطقة سوف ، وتؤكد المصادر أنّ أول مدرسة فرنسية بوادي سوف هي : **مدرسة الأهالي** بالوادي والمعروفة حاليا بمدرسة ميهي بالحاج [1]، وقد فتحت أبوابها في 02 نوفمبر 1886م تحت ادارة السيد **قرايتيودورسيلا** ، كما فتحت مدرسة أخرى في كوينين سنة 1893م ، وأخرى بقمار والمعروفة **بالمدرسة الأهلية** ، حيث بدأت اشغالها سنة 1904م ، وافتتحت موسم 1907-1908م ، ونتيجة لعدة عوامل منها تحسن ظروف العائلات التي تدّرس أبناءها في المدارس الفرنسية أقبلت عديد العائلات على التعليم الفرنسي الشيء الذي دفع بإدارة الاحتلال إلى فتح عديد المدارس الأخرى في كامل ربوع وادي سوف ومنها مدرسة الزقم سنة 1949م[2].

تعود أسباب تأخر افتتاح المدرسة الفرنسية بقرية الزقم إلى عدة أسباب منها :

- ✓ رفض السكان للتعليم الفرنسي وهذا السبب هو الأرجح نظرا لوقوع القرية بمنطقة معزولة ضف إلى ذلك نشاط رجال الاصلاح وتحذيرهم من هذا التعليم.
- ✓ هناك من يقول أنّ أهالي القرية دفعوا بعض المال إلى القيّاد لإقناع سلطات الاحتلال بعدم بناء مدرسة فرنسية في قرية الزقم.
- ✓ عقابا للسكان من طرف إدارة الاحتلال وحرمانهم من تعلم الفرنسية [3].

لقد افتتحت المدرسة الفرنسية بالزقم سنة 1949م، حيث تحتوي على قسم تربوي واحد وثلاثة قاعات وسكن وظيفي ومعلم واحد ، وفي السنة الموالية أصبح بالمدرسة فوجين يدرسهم

1 - الزبير بن بردي : **المرجع السابق** ، ص 45.

2 - **نفسه** ، ص 46.

3 - المولدي صيشي : **المرجع السابق** ، ص 70.

معلمان أحدهم عسكري إحتياطي في الجيش الفرنسي ، كما أفتتح مطعم مدرسي في شهر نوفمبر 1949م لتقديم وجبات غذائية للتلاميذ مستغلين في ذلك حالة الفقر والجوع المنتشر لدى السكان لإبعاد الأطفال عن المدارس الحرة العربية الاسلامية ، وهذه هي عادة السياسة الفرنسية خاصة في الجانب التعليمي ، وفي سنة 1951م بلغ عدد التلاميذ 55 تلميذ ليرتفع سنة 1952م إلى 85 تلميذ حسب الاحصائيات الفرنسية[1] .

ولقد كانت البرامج التعليمية المطبقة في المدرسة موافقة تماما للطابع الفرنسي أي المنهاج المعمول به في فرنسا نفسها ، لأنّ السياسة الفرنسية ليست قائمة على مبدأ تعليم الجزائريين وإنما هدفها فرنسة المجتمع الجزائري وإذابته تدريجيا في المجتمع الفرنسي ، ومن هنا تعددت المواد المدرّسة فيها لكن أكثرها اللّغة الفرنسية ثم الحساب والتاريخ والجغرافيا والرسم والتربية الخلقية والعمل اليدوي وأخيرا اللّغة العربية وبعض الأناشيد ، كما أولت المدرسة اهتماما بالجانب الصحي لأنّ سلامة العقل من سلامة الجسم، إضافة إلى برامج ترفيهية ورياضية مثل : الرحالات والسينما والخرجات الميدانية[2] .

ومن خلال بعض التقارير الفرنسية التي رُفعت إلى القيادة العسكرية بتقرت من طرف ضباط مركز الوادي ، والتي تعبّر في مجملها عن عدم رضى الادارة الفرنسية تُجاه السكان بسبب عزوفهم عن التعليم الفرنسي وإقبالهم عن التعليم العربي الحر والذي بلغ تعداد تلاميذه حسب نفس التقرير في قرية الزقم حوالي 211 تلميذ ، وهذا بحد ذاته يُعد موقفا معلنا لا جدال فيه يعكس الرفض التام لأهالي القرية لمثل هذا النوع من التعليم رغم كل ما وفرته المدرسة الفرنسية من وسائل عصرية مجانية ،لأنّ خوف الأولياء على مستقبل أبناءهم هو الأساس الداعم لهذا الموقف[3] ، ويمكن التوضيح في الجدول الآتي :

1 –المولدي صيشي : **المرجع السابق** ، ص 71.

2 – البشير مقدود : **المرجع السابق** ، ص 148.

3 – المولدي صيشي : **المرجع نفسه** ، ص 70.

الرقم	اسم المدرسة	عدد التلاميذ	اسم المدّرس
01	جامع الشيخ العدواني	65	الشيخ معمري مسعود
02	جامع سيدي عبدالقادر	41	الشيخ شاوش ساعد
03	جامع الزاوية – بن عزوز –	30	الشيخ لخذاري الساسي
04	المدرسة القرآنية بالزقم	30	الشيخ كلكامي إبراهيم
05	المدرسة الملحقة بالجامع الشرقي – بن لخضر–	45	الشيخ ريغي بشير

جدول توزيع تلاميذ المدارس القرآنية بالزقم حسب التقرير الفرنسي[1].

❖ **أهم المعلمين الفرنسيين في منطقة الزقم:** لقد حرص الاستعمار الفرنسي على أن يكون المنهاج المطبق في هذه المدارس فرنسيا، وأن يكون المعلم فرنسيا أيضا، ففي مدرسة الزقم من سنة 1949م إلى 1960م درّس بها حوالي 10 معلمين واحد منهم فقط جزائري[2]، أما البقية فهم فرنسيون أغلبهم ضباط احتياطيون في الجيش الفرنسي، وفيما يلي نذكر اثنين منهم:

- **جانجو روجي** : من مواليد 17 مارس 1925م

- **المهنة** : معلّم .

- **تاريخ التسجيل بالجيش الفرنسي** : 1944م.

- **تاريخ التجنيد**: 1945م.

- **رقم التسجيل** : 458/261691.

- **التخصص** : مدفعية الميدان.

1 – المولدي صيشي : **المرجعنفسه** ، ص 70.

2 – سعيدة عمان : **المرجع السابق** ، ص 142.

- **الرتبة العسكرية** : عريف أول .
- **مكان العمل** : مدرسة الزقم.

- **ديك روبير** : من مواليد 09 أوت 1928م
- **رقم التسجيل** :23098.
- **المهنة** : معلّم.
- **الوضعية** : معفى من الجيش الفرنسي .
- **مكان العمل** : مدرسة الزقم[1] .

ومع العلم أنّ هذين المعلمين كانت تربطهم علاقات حسنة مع السكان، وكما يذكر بعض شيوخ القرية أنّ المعلم " **جانجو روجي** " بعد اندلاع الثورة كان يساهم باشتراكات منتظمة، لكن يبقى هذا العمل عن قناعة أو أنّ هناك أغراض أخرى وراءه[2].

❖ **موقف الأهالي من التعليم الفرنسي:** يظهر جليا أنّ التعليم الفرنسي لم يلق قبولا واسعا في كامل ربوع وادي سوف في البداية، وربما يعود ذلك إلى رفض الأولياء له خوفا على عقيدة أبنائهم وانحراف تصرفاتهم، أو حتى خوفا من العار الذي يلحق الولي الذي يتعامل مع الاستعمار[3]، كما كان لبعض الشيوخ والعلماء في المنطقة مواقف واضحة من ذلك، ومنهم الشيخ إبراهيم بن عامر الذي أبدى موقفه الواضح تُجاه سياسة الفرنسة الهادفة إلى التنصير، وذلك من خلال تدريسه لكتاب " **إرشاد الحيارى وتحذير المسلمين من تعليم أولادهم في مدارس النصارى** " للشيخ يوسف النبهاني[4]، كما أنّ بعض الأولياء كانوا يتوسطون لدى القيّاد

1 – المولدي صيشي : **المرجعالسابق** ، ص 71.

2 – **نفسه** ، ص 71.

3 – البشير مقدود : **المرجع السابق** ، ص 148.

4 – أبو القاسم سعدالله : **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج 4 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، ط 1 ،1998، ص 506 .

لعدم إرسال أبناءهم إلى المدرسة الفرنسية وهذا ما يعكس الموقف الموحد لأهالي سوف من هذا التعليم، حيث يقول الشيخ حمزة بوكوشة في هذا الصدد: " وقد كنّا نفر من قراءة الفرنسية فرار السليم من الأجرب، لأننا لّقنا أنّ قراءة الفرنسية طريق إلى الكفر "[1].

أما عن الموقف الخاص بسكان قرية الزقم فهو لا يختلف عن نظيره في حواضر وادي سوف الأخرى، فطبيعة الإنسان السوفي المحافظة على الدين والهوية واحدة تتحكم في كامل الأفراد، ومن هنا فقد رفض سكان قرية الزقم هذا التعليم في البداية بشدة ، حتى أنّ هناك من يقول أنّ فرنسا كانت تنوي إقامة المدرسة بالقرية سنة 1945م، لكن بسبب رفض السكان تمّ تحويلها إلى مكان آخر ولم تّفتح إلاّ سنة 1949م، وهذا يدّل على الموقف الخاص لأهالي وشيوخها العلماء الذين كانوا الداعمين لهذا الموقف، خاصة عبدالرحمان معمري وكذلك إبراهيم كلكامي[2]، كما كان للشيخ حامد بدير موقف شديد تّجاه الاستعمار، حيث كان يدعو إلى عدم التعامل معه بأيّ وسيلة، وكذلك عدم تعلم لغته، وهذا ما اعتبره الاستعمار موقفا سياسيا دفعه إلى مضايقة الشيخ وإدخاله السجن مدة 08 أشهر[3] ، وكدليل إضافي على الرفض ما جاء في التقرير الذي رفع إلى قيادة تقرت عبّر فيه الضباط عن عدم رضاهم عن السكان في الزقم، نظرا لعدم إقبالهم على التعليم الفرنسي رغم ما وفرته إدارة الاحتلال من وسائل للراحة، والاصرار على التعليم العربي الاسلامي الذي بقي مسيطرا في قرية الزقم خاصة ووادي سوف عامة[4].

إنّ موقف الأهالي المتصلب تُجاه التعليم الفرنسي لم يستمر بنفس الوتيرة، بل بدأت تدريجيا عديد المطالبات بتعميم التعليم الفرنسي في كافة مناطق وادي سوف، وهذا ما نلمسه

---

1 – علي غنابزية : **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300هـ – 1374 هـ / 1882م– 1954 م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر ، 2008–2009م ، ص 116.

2 – المولدي صيشي : **المرجع السابق** ، ص 71.

3 – سعد العمامرة وأحمد منصوري : **المرجع السابق** ، ص 102.

4 – المولدي صيشي : **المرجع نفسه** ، ص 70.

في العريضة التي قدمها الشيخ محمد الساسي معامير وهو أحد أعيان الزقم إلى الادارة الفرنسية، جاء فيها :" ... حضرة سمو الوالي العام سلاما يعمكم، سيدي لا يخفاكم حالة بلدنا الزقم التي لا مكتب بها لتعليم أولادنا الهُمل في الشوارع والطرقات وحلفاء السجون والعاهات مستقبلا ، تلك هي ثمرة الجهل ومن خلو بلدنا من الإلمام بلغة دولتنا فرنسا، كثيرا ما ترد لنا التلغرافات وأحيانا بعض من المراسلات فلم نقدر على قراءتها، فنضطر إلى السفر لقطع 26 كلم للوادي ذهابا وايابا لابتغاء ترجمتها، وعند بعض مجاورينا إلى 30 كلم مع أنّ حالة العصر يا جناب الوالي تقتضي التعليم الذي هو شعار دولتنا الفخمة، ولتخريج رجال تفتخر بهم المستعمرة ، ويكونون عونا لها في مهماتها ..." [1].

كما كان الشيخ بالقاسم بن مصطفى ضمن الوفد الذي ذهب لمقابلة لجنة البحث البرلمانية بالجزائر، حيث قدموا عدة مطالب تخص وادي سوف ومن بينها تعميم التعليم الفرنسي، وفتح مكاتب ابتدائية.

ومن خلال عريضة محمد الساسي معامير ومطالب الوفد نستنتج بأنّ أهالي سوف عامة والزقم خاصة قد تغير موقفهمتدريجيا نظرا للمتطلبات الضرورية التي كانوا يرونها[2].

خامسا- مساهمة رجال الإصلاح بالزقم في الحركة الوطنية والثورة التحريرية:

لقد كان لأهالي وادي سوف عموما دور بارز في الحركة الوطنية الجزائرية، وكذلك في دعم الثورة التحريرية المباركة، وقد كان لأهالي قرية الزقم نصيب من ذلك النشاط في شقيه سوى ما تعلق بالحركة الوطنية أو الثورة.

1- **المساهمة في نشاط الحركة الوطنية:** لقد كانت قرية الزقم تزخر بالعديد من الشخصيات التي تأثرت بالحركة الصحفية التي كانت تساير أحداث الحركة الوطنية ومعبرة

1 - سعيدة عمان : **المرجعالسابق** ، ص 124.

2 -**المرجع نفسه** ، ص 125.

عنها، لهذا كان نشاط أهالي هذه البلدة في بداية الأمر في شكل كتابات صحفية خاصة في صحيفة **الشهاب**، وهي كتابات تحمل في طياتها النقد اللاّذع والتحريض، وكذلك المطالبة بالحقوق العامة ورفض الاضطهاد المسلط على الأهالي خاصة فيما تعلق بالضرائب المسلطة على النخيل والتمور، وكذلك المطالبة سنة 1926م بمدرسة التكوين المهني، والعديد من الرسائل التي تحمل طابع المطالبة بالحقوق العمومية، هذا الشكل من النشاط كان في فترة العشرينات من القرن العشرين[1].

وقد كان لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931م أثر عميق في نفوس أهالي سوف عامة وأهالي قرية الزقم خاصة، حيث سارعوا إلى الانخراط في صفوفها وتبني أفكارها وخاصة العلماء والشيوخ، وقد أدت زيارة وفد جمعية العلماء بالقرية دورا كبيرا في هيكلة النشاط ليزداد تنظيما وقوة ضمن اطار الحركة الوطنية[2].

كما ساهم أهالي بلدة الزقم في استقبال الشخصيات الوطنية التي زارت المنطقة مثلما حدث سنة 1948م عندما زار السيد عبدالحميد مهري القرية ضمن إطار الحملة الانتخابية البرلمانية لصالح حزب الشعب الجزائري[3].

2- **الحركة الكشفية بالمنطقة:** يقول الشيخ العدواني – رحمه الله – : " اقتدي بمن جرّب الأمور وقس الأحوال "[4] ، ويقول المثل الشعبي السوفي الشهير:" سقسي لمجرب وما تسقسي الطبيب "، وفي هذا دلالة على أنّ التجربة السابقة لها دور كبير في تكوين القناعة المستقبلية، خاصة وأنّ الحركة الكشفية بالجزائر كانت سبّاقة على نظيرتها في وادي سوف،

1 - المولدي صيشي : **المرجع السابق** ، ص 79.

2 - بن سالم بالهادف : **المرجع السابق** ، ص 91.

3 - المولدي صيشي : **المرجع نفسه** ، ص 68.

4 -محمد بن عمر العدواني : **المصدر السابق** ، ص 325.

وكان لها دور بارز في إعداد الرجال للثورة ، ولهذا جاء الاقتداء بهذه التجربة في وادي سوف عامة.

فقد عرفت منطقة وادي سوف الكفاح السياسي كغيرها من مناطق الوطن قبل العمل الثوري، وجاءت فكرة تأسيس الفوج الكشفي بالمنطقة على يد الشهيد العربي بن المهيدي، الذي اقترح تسمية **فوج الرمال**، وكان ذلك في ربيع سنة 1947م بمدينة الوادي[1].

أما فيما يخص قرية الزقم فيقول الأستاذ عز الدين عباسي: أنّ أول فوج كشفي بمنطقة الزقم كان بصفة سرية وقد تأسس في نهاية الأربعينيات على يد الشيخ إبراهيم كلكامي بمساعدة سرياني صالح بن مسعود، وكان يضّم عددا من الطلبة النجباء من بينهم معمر حيلة ومحمد العربي خطراوي، والساسي مناني، وقروي الحفناوي، وكذلك المتحدث عزالدين عباسي الذي يقول بأنه مازال يحتفظ بصورته يوم أن كان كشافا.

وقد كان اللبّاس الكشفي عبارة عن قميص أبيض بالإضافة إلى تبّان أسود ساتر، أما النشاط المقدم فهو عبارة عن تنظيم لقاءات مع كشافة الوادي، كما كان الفوج يقوم بنشاطات توعوية للكبار وتعليم الشباب، وهذا كله يساهم في نشاط الحركة الوطنية وإعداد الرجال للثورة [2].

3- المساهمة في دعم الثورة التحريرية المباركة : إنّ أغلب سكان قرية الزقم كانت مساهمتهم في الثورة من خارج أراضي وادي سوف، والدليل على ذلك شخصية الرائد صالح السوفي الذي وصل إلى مجلس قيادة الأركان التي كان يتزعمها هواري بومدين في اجتماع 04 ماي 1960م، وكذلك شخصية الشهيد صادقي بالقاسم الذي أعدم في بئر العاتر نتيجة إلقاء القبض عليه وفي دكانه دفاتر الاشتراكات.

1 - بن سالم بالهادف : **المرجع السابق**، ص 168.

2 - أحمد شوقي بوليفة : **المرجع السابق**، ص 74.

لكن نحن هنا بصدد تسليط الضوء عن دور رجال الاصلاح بقرية الزقم في دعم الثورة المباركة، ولهذا نكتفي بدور شخصيتين بارزتين هما الشيخان عبدالرحمان معمري، وكذلك إبراهيم كلكامي بصفتهم أعضاء في المنظمة المدنية في وادي سوف، حيث كان نشاطهم مربوط بصفة وثيقة بالسكان من أجل جمع الاشتراكات والمؤن والذخيرة، وكذلك همزة وصل بين المجاهدين وعائلاتهم بالداخل، لهذا كان بقاؤهم في القرية أمرا ضروريا[1]، فالشيخ إبراهيم كلكامي كان دائما يشحذ الهمم ويشد العزائم ويشرح أهداف الثورة من أجل أن تلقى الثورة إقبالا وتأييدا لدى عامة الناس، كما كان الشيخ معمري عبدالرحمان مسؤولا على مستوى ناحية الوادي مما كان سببا في تحمسه للنشاط أكثر، فكان يلقي الخطب والمحاضرات، ومحاربا للطغيان ورافضا للسياسية الاستعمارية ومساهما في جمع التبرعات لأنه المسؤول المعيّن للقرية[2].

وعندما تولى الطالب العربي قمودي قيادة جيش الحدود في شهر فيفري 1956م، شرع مباشرة في ضبط الأمور وتشكيل الخلايا[3] التي وصلت في احصائيات أولية إلى عشرين خلية في كامل تراب وادي سوف، حيث كان الشيخ عبد الرحمان معمري رئيس خلية قرية الزقم[4].

4- موقف الإدارة الفرنسية من دعم الاصلاحيين للثورة : في أمسية 27 رمضان سنة 1957م كانت بداية النهاية لنشاط شيوخ منطقة الزقم وعلمائها والهدف من هذا هو ضرب القاعدة الخلفية للثورة ، حيث وصل خبر إلى شيوخ القرية مفاده أنّ الاستعمار قد كشف التنظيم المدني وأنّه عازم على العقاب، وأنّ الجبهة مستعدّة لتهريبهم، إلاّ أنّ الشيخين فضلا البقاء في القرية لأنّ الهروب سيسبب مزيدا من التنكيل لسكان القرية، وقد ألقي عليهما القبض أمسية ليلة القدر، وتمّ نقلهم إلى سجن لاصاص(SAS) بالدبيلة، حيث مكثا هناك عدة أيام ذاقا خلالها كل

1 - المولدي صيشي : **المرجع السابق** ، ص 87.

2 - سعد العمامرة: **شهداء من بلادي** ، ص ص 88 - 89 .

3 - ينظر الملحق رقم -11-

4 - علي غنابزية : **فصول ودراسات في تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية بوادي سوف 1854- 1962 م** ، سامي للطباعة والنشر ،الوادي ، ط1 ، 2022 ، ص - ص 191 - 192 .

أنواع التعذيب إلى أن استشهدا تحت وطأة التعذيب، وألقت بهم إدارة السجن في بئر قرب المركز، وهو عبارة عن بئر جعلته إدارة السجن مقبرة جماعية ، كما كان هناك أماكن أخرى للإعدام في العرق الشرقي مثل شوشة لحمادي، لعراف، صحن بّري وأبيار الذر[1]، وهكذا تمّ القضاء في هذه الأيام على كامل التنظيم وخلاياه في ربوع وادي سوف.

وقد كان لهذه المجازر آثار عميقة على أهالي وادي سوف عامة وقرية الزقم خاصة، وذلك من خلال:

- ✓ الاعتداء على المقدسات الدينية مثلما حدث في مسجد عمرة بحاسي خليفة.
- ✓ تحويل المدارس إلى ثكنات عسكرية مثلما حدث في مدرسة الطريفاوي وحاسي خليفة.
- ✓ الاعتداء على رموز المجتمع خاصة العلماء والشيوخ مثل عبدالرحمان معمري وإبراهيم كلكامي وأحمد التجاني والبشير غربي.
- ✓ الاعتداء علىالأعراض والحرمات وشتم النساء في البيوت وتخريبها[2].

بعد اللّي زهت ليّام غرّت بيا تهزت الطُلبة وديارها مخلية
نهار موتانا لرياح تضرب ولبراق شيّارة لملاك حزنت في السماء غضبانة[3]
علّي هزوهم على غير سوية الشمس سُخفت والقمر دغشانه
الرّجالة تطاحر بدموعها مجرية الحراير تجري في الزّقة عريانة
نساء ورجال وعجايز وصبية ماشيين لحوشه على غير ثنية
من يبشرني بفرنسا الطحانة خرجت علينا وعطتنا الحرية
نبكي بالدمعة من عيني مجرية حزني عليهم حتّان العمر يفنى

1 – سعد العمامرة : **قاموس الشهيد لمنطقة سوف ولاية الوادي** ، دار هومة للطباعة والنشر ،2014، ص 94.

2 – علي غنابزية : **فصول ودراسات** ، ص 202.

3 – يوسف زغوان : **التعليم العربي الحر** ، ص 121.

لا دز جواب ولا علينا وصّى أداتـــــه الظالمـــــة الكـــــافرة ليهوديـــــه
كل يوم نرجوا وينته فرانسه أتحله تبـــــان رجـــــال ميتـــــة وللـــــي حيـــــة
نهـــــــــــار الضـــــفـــــة تهزت رجـال متستهـلشي مســـــــــه

إلى أن تقول في حقهم:

ميّت على دينه مجاهد حقيقة ميت للجنة في أحضان الحريّة
مجاهد حق ما تشوفه غبينه مع الشهداء وخاتم لنبيـــــــه[1].

و هناك قصيدة أخرى لشاعر مجهول يصف الأحداث في أبيات معبرة نذكر منها:

فرنســـــــــا دارت شـــــــــيكور وعســـــــاكرها عليهـــــا الـــــدور
فرنســـــــا درتـــــــي المحـــــــال تشـــــوي فـــــي عشـــــوة رمضـــــان
أديتـــــــي الطلبـــــــة لعـــــــلام خليتـــــــي الكبـــــــدة مشـــــــوية
قالـــــت تـــــو الحـــــرب خـــــلاص والجزائـــــــر رجعـــــــت ليّـــــــا[2]

هذه الأبيات من الشعر الشعبي التي احتفظت بها الذاكرة تعكس بشاعة الحادثة وهمجية الاستعمار الفرنسي ، حيث تبقى وصمة عار في جبين فرنسا التي تدعي الحقوق والمبادئ والحرية، وهي في الحقيقة لا تفرق بين الأطفال والنساء والرجال والشيوخ، وبين المقدسات وحرماتها.

1 – المولدي صيشي: **المرجع السابق** ، ص 90.

2 – المولدي صيشي: **المرجع السابق** ، ص 90.

وفي نهاية هذا الفصل وبعد تدرجنا في دراسة تطور الحركة الاصلاحية بالزقم نستنتج ما يلي:

✓ لقد عرفت الحركة الاصلاحية بالمنطقة تطورا كبيرا بعد زيارة وفد الجمعية للمنطقة، حيث أخذت نفسا قويا وتنظيميا للتقدم إلى الأمام.

✓ لقد كان التعليم العربي الاسلامي ونشاط المدّرسين حاضرا بقوة، وهذا ما أزعج ادارة الاحتلال كثيرا ، مما أدى إلى صدور قرار منع المدارس الحرة من مزاولة التدريس وإلقاء القبض على كل من ينتسب إلى الجمعية، ووقوع ما يسمى بأحداث أفريل 1938م، والتي كانت عصيبة على الأهالي.

✓ لقد كان لمدرسة الاصلاح دور ريادي من خلال نشاط شيخها، وكذلك المواد المدّرسة واعتمادها على المنهج الزيتوني، مما أدى إلى بروز نخبة مثقفة متنورة تنهض بمسؤوليات القرية والمنطقة عامة.

✓ لقد كان دخول التعليم الفرنسي للقرية متأخرا سنة 1949م ، كما حاول منافسة التعليم العربي الاسلامي، لكن دون جدوى فقد بقي الإقبال محتشما نتيجة رفض الأهالي له رغم وجود بعض الحالات التي زاولت الدراسة في المدرسة الفرنسية من أجل المصلحة العامة، وهذا ما نلاحظه من خلال عريضة محمد الساسي معامير إلى الوالي العام .

✓ لقد لعب رجال الإصلاح في القرية دورا بارزا في نشاط الحركة الوطنية ودعم الثورة التحريرية من خلال نشاط الشيخين عبد الرحمان معمري وإبراهيم كلكامي، وهذا ما أدى في الأخير إلى استشهادهما في مجازر رمضان 1957م .

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة، وبعد تسليط الضوء على جميع جوانب الحركة الإصلاحية في منطقة الزقم 1900-1957م، يمكن الوقوف على النتائج والاستنتاجات التالية:

- الامتداد التاريخي للزقم، وهذا ما جعلها أعرق قرى وادي سوف من خلال عمارة بني عدوان لها، واستقرارهم فيها، هذا ما جعلها حاضرة علمية بامتياز.

- الموقع الجغرافي الاستراتيجي للزقم جعل منها مركزا حضاريا بعيدا عن أعين الاستعمار الفرنسي خاصة، وهذا ماسهّل عملية انتشار الفكر الإصلاحي.

- تعتبر الحركة الإصلاحيةبالزقم في جانبها المحافظ امتدادا للوضع الثقافي لوادي سوف عامة، حيث لعبت فيه الطرق الصوفية دورا كبيرا من خلال نشاط زواياها وشيوخها، دون أن ننسى دور المساجد والمكتبات، وكذلك حركة التعليم القرآني خاصة الذي يعتبر صمام الأمان للفرد السوفي، وكذلك التعليم العربي الحر في المدارس العصرية وخاصة بعد رجوع النخبة الزيتونية وما لعبته من دور، دون أن ننسى التعليم الفرنسي ومحاولة تغلغله في أوساط المجتمع السوفي، كلّ هذا التنوع شكّل الوضع الثقافي لمجتمع وادي سوف مطلع القرن العشرين.

- لقد كانت العوامل التي ساهمت في دخول الفكر الإصلاحي للزقم متشابهة مع نظيراتها في الحواضر الأخرى وفي كامل ربوع وادي سوف إن لم نقل نفسها، وذلك من خلال دور المهاجرين خاصة طلبة العلم بالزيتونة وكذلك الوضع الثقافي الداخلي الذي استوجب إصلاح بعض جوانبه.

- لقد كانت قرية الزقم تعّج بالشيوخ والعلماء المصلحين ربما أكثر من غيرها، وهذا راجع إلى طابعها المحافظ وقوة حضور التعليم القرآني فيها ومن هؤلاء نذكر: محمد الساسي معامير، مسعود عباسي، إبراهيم كلكامي، عبدالرحمان معمري وأحمد الغولي، وغيرهم كثير.

▪ لقد شمل نشاط الحركة الإصلاحية بالزقم جميع مجالات الحياة وقتها، من خلال التركيز على التعليم، ثم الميدان الاجتماعي والديني دون إغفال دور الإعلام والصحافة في إسماع الصوت ورفع الانشغالات والمطالب.

▪ لقد عرفت الحركة الإصلاحية بالزقم تطورا ملحوظا على مستوى الهيكلة والتنظيم والنشاط بعد زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريينللمنطقة وتأسيس شعبة تابعة للجمعية بالقرية تكون نواة للعمل الإصلاحي.

▪ لقد كان لهذه الزيارة آثار إيجابية من خلال تأسيس الشعبة والتي تطورت تدريجيا إلى أن تأسست مدرسة الاصلاح، حيث لعبت دورا كبيرا في احتضان وتعليم أبناء القرية، وإرسالهم إلى جامع الزيتونة قصد تكوين نخبة متنوّرة قادرة على حمل مشعل الإصلاح في جميع الميادين.

▪ تعتبر حاضرة الزقم من أكثر قرى وادي سوف محافظة على الدين الاسلامي والثقافة العربية، وهذا ما نلمسه من خلال الرفض القاطع للتعليم الفرنسي الذي دخل متأخرا للقرية سنة 1949م، وذلك خوفا على مصير وعقيدة أبنائهم.

▪ التغيير التدريجي لموقف أهالي الزقم تُجاه التعليم الفرنسي، وهذا ربما راجع إلى سعة الرؤية حيث أصبح التعليم من ضروريات الوقت، من أجل تقديم المصلحة العامة لأهالي القرية،وهذا ما نستشفه من خلال رسالة محمد الساسي معامير إلى الوالي العام يطلب منه تعميم التعليم الفرنسي في كامل ربوع وادي سوف، وإدخاله لقرية الزقم خاصة.

▪ لم يكن رجال الإصلاح في الزقم بمعزل عن العمل والنشاط الوطني، بل كانوا مساهمين فيه من خلال النشاط الصحفي، وكذلك استقبال الشخصيات الوطنية والترحيب بها وتأييدها ودعم الثورة التحريرية بالمال والرجال، حيث قدمت القرية خيرة رجالها المصلحين في مجازر رمضان 1957م، وهم الشيخان عبدالرحمان معمري وإبراهيم كلكامي.

الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة الموقع الجغرافي لمنطقة الزقم[21]:

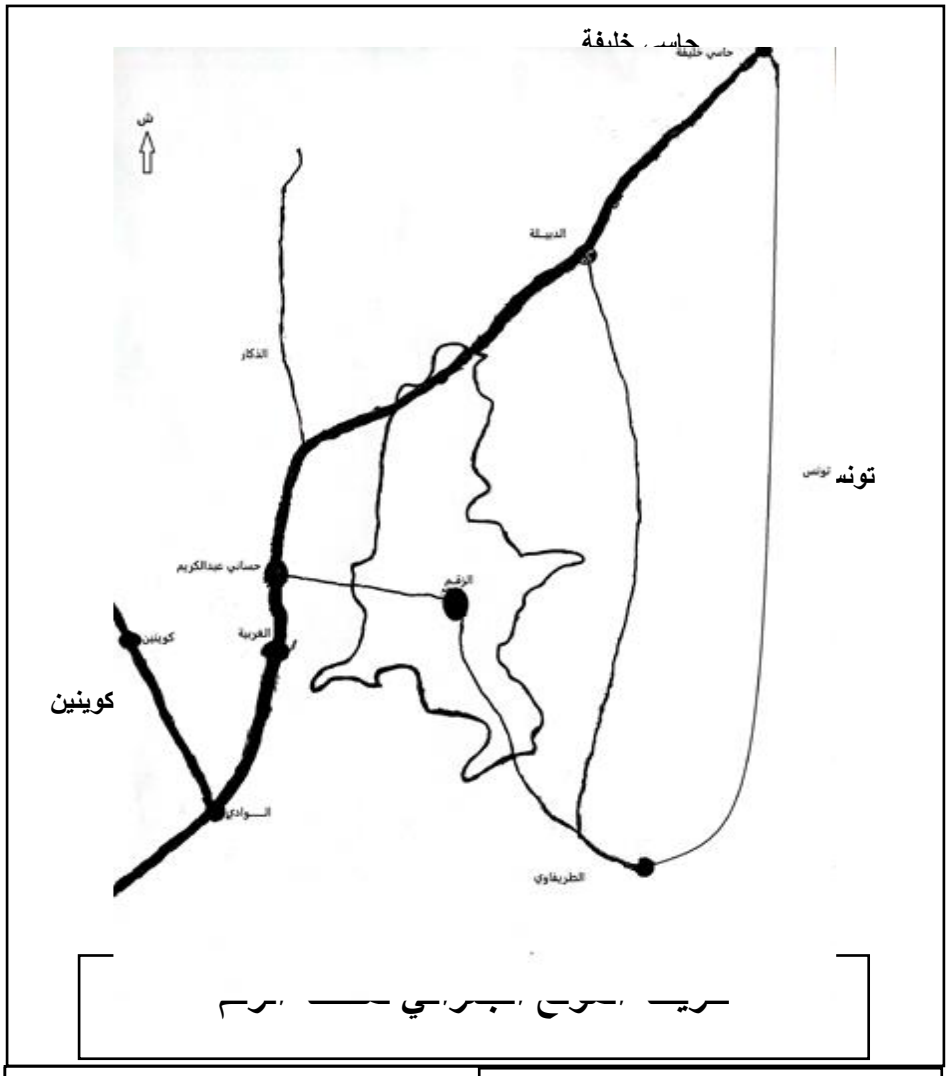

1 – الموقع الالكتروني : https://maps.app.goo.gl/cGeiJE8ZURmHUG4q9

2– أحمد شوقي بوليفة : **المرجع السابق** ، ص 22.(من أجل تحديد الجهات).

الملحق رقم -02- : الالواح المستعملة لحفظ القران الكريم بالمساجد[1]

1 - المولدي صيشي : **اللّجة أم القرى بسوف** ، د ط ، ص69.

الملحق رقم -03- أهم الشخصيات الاصلاحية بمنطقة الزقم

الشيخ إبراهيم كلكامي الشيخ عبدالرحمان معمري

الشيخان : إبراهيم كلكامي و عبدالرحمان معمري[1]

الشيخ مسعود عبّاسي الشيخ محمد العربي خطراوي

الشيخان : مسعود عباسي ومحمد العربي خطراوي[2]

1 – المولدي صيشي : **المرجع السابق** ، ص112.

2 – سعد العمامرة وأحمد منصوري : **أعلام من سوف**، ص – ص 55- 104.

الملحق رقم – 04 – رسالة احتجاج السيد سلمي سالم بن الطاهر من الزقم حول اضطهادوادي سوف وملحقاته[1]

﴿الشهاب العدد ١٥٤﴾ الصحيفة ١١

الشكاوى والظلامات عن الوطن

نداء سكان

الوادي سوف وملحقاته

إلى زعيم باتنة الشهير

اليوم حاجتنا إليك وإنما يدعى الطبيب لشدة الأوصاب

حضرة أخي وصديقي وصديق المسلمين أجمعين السيد محمد الشريف سيسبان الوكيل الشرعي والنائب المالي لقسم باتنة عاصمة الصحراء نهدي إليك سلاماً عاطراً أكثر ما أقصد به توطيد دعائم الأخوة بيني وبينك وتنشيطك على السير في عملك المبرور والسعي المجدي وبالدعاء الصالح إليك وإلى كل وطني مخلص لأمته وبلاده أما بعد يا حضرة النائب لا يخفى عليك كتابنا المفتوح المنشور بمجلتنا الشهاب أوائل ماي المنصرم الذي استلفتنا به نظر جناب ولي عمومنا المحبوب ليسقط علينا (الزوج فرنكات) الذي أوجبهم عنا حضرة قبطان دائرتنا مسيو بتفليت الحالي يأخذونهم منا مكترو أسواق مداشرنا على كل قنطار من الثمار المباع عندنا سواء بديارنا أو بأجنتا داخل القرى وخارجها والذي يمتنع من أدائهم يجازى من السجن

95

السنة الرابعة ﴿الشهاب العدد ١٥٤﴾ الصحيفة ١٢

المضيق ما الله به عليم ولربما تعقبه خطية مالية وشيء آخر كما لا يخفاك ضغط المتنير وعذابه الأليم وبينا لجناب الوالي في كتابنا السابق الضريبة المفروضة زمن الاحتلال التي سنها زعماء أمنا فرنسا الحنون المعطاة منا سنوياً على رؤوس النخيل لا على ثمره ومن حين نشر ذلك الكتاب ونحن نستمع ما ستقتضيه عدالة الوالي مسيو بورد الذي ظننا به جميل أنه لا يترك شكاية أمة استغاثت به على ما أحاط بها من الضغط والظلم المبين. وخلاصة ما أقوله لك يا نعم النائب وخير وكيل أن الأمة السوفية قاطبة ترغب منك المعاضدة والذب عن حقوقهم بكل براعة واخلاص والدفاع عن مصالحهم التي أنت بها خبير دفاعاً صادقاً كما اشتهرت به من الغيرة والوطنية الحقة لا سيما إسقاط هاته الضريبة الثانية التي نحن بصدد الشكاية عنها وأني أكرر لك أن من الضرورة أن تكلفنا دولتنا السعيدة بعد قرن ضريبة على النخلة وأخرى على ثمرها هذا وإننا منتظرون ماذا نجيبنا به وتعلن لنا بين أعمدة جرائدنا المحلية ولا تكلفنا مشقة الاستدراك عما يهديه ضميرك الحر وفكرك الصائب نحو ضالتنا المنشودة ولا نحوجنا إلى الكتابة بعد هذا. وكما نستلفت أنظار زملائك الأحرار المكلفين بالدفاع عن حقوق إخوانهم سكان دارة قسنطينة كالسيد محمد المصطفى بن باديس وأمثاله. وفي الختام تقبلوا مني يا حضرة النائب ومن إخواني أهالي سوف أجمعين تحياتنا الخالصة.

سلمي سالم بن الطاهر السوفي الملاك بالزقم والتاجر الآن بمداوروش ١١ جوان سنة ١٩٢٨

1 – **الشهاب** : ع 144 ، س 3 ،الخميس 06 ذو القعدة 1346هـ / 26 أفريل 1928 م.

الملحق رقم – 05 – : رسالة من السيد سلمي سالم بن الطاهر إلى الشريف سيسبان قصد التدخل لرفع الضرائب والمظالم[1]

﴿الشهاب العدد ١٤٤﴾ الصحيفة ١٨

سيد عمار بن
القضية حتى
بهمته ونشاطه
نا في السوابق
م وتأخذ من
بقيها فإن فعل
رمى فله أجر
إن فعل وأخطأ
ي مسألة كهاته
يصيب نفعها
شرفه وشرف
ل:
م ظفر
سريه ينتصر
كان له شعور
دخل في هذا
د افتتاحه فما
لهذا المأوى
أنتظر حزمكم
سيد علي عباس
ويتقبله بابتهاج
ادته فإنه بذلك

س سنة ١٩٢٨
سعود بن عمار
داوروش

حول اضطهاد الوادي سوف وملحقاته

كتاب مفتوح لجناب الوالي العام بالجزائر

حضرة سمو الوالي سيو بورد سلاماً كثيراً يعمكم، سيدي، نبدي إلى جنابك الرفيع شكايتنا على ما حل بشعبنا سوف المنكود الحظ في هاته السنة الحالية من الاضطهاد الذي كلفنا به من رجال الشرطة وحاكم المكان وهاك بيانه:

يا جناب الوالي، كان رجال دولتنا السعيدة في زمن الاحتلال فرضوا علينا ضريبة نؤديها في كل سنة على رؤوس النخيل، فامتثلنا وأطعنا وتمادينا على دفعها وما شعرنا إلا أن فاجأنا الأمر المحتم والقدر المقدر بدفع زوج فرنكات على كل قنطار من التمر يدفعها البائع منا لمكتز السوق سواء وقع البيع بديارنا أو بأجتنا فأبكانا ذلك وأحزننا ولم يسعنا إلا أن اجتمعت طائفة منا وقصدوا حاكم المكان وطلبوا منه تخفيف هاته الملمة التي أثقلت كواهلنا فلاقوا منه أذناً صماء. يا جناب الوالي، كيف يسوغ لنا نؤدي ضريبة على رؤوس النخيل وضريبة على ثمره، يا جناب

السنة الثالثة ﴿الشهاب العدد ١٤٤﴾

ذكر الرجا

فجعت
والطريقة ا
العزيز الش
أسف وح
القسنطينيي
كريم الشي
لجميع النا
وقد أ
كثير من ال
أحبولة لص
من الشعوذ
ضللوا أتبا
الدين وص
الناس.

كان ر
كرامات
الحدود الت
ومن مس
واستنكاره
الغيظ ـ مر
وجاوز الح
ضريحه في
نقضها عرو

الوالي لماذا لم نقتد بإخواننا التليين الحراثين الفلاحين يؤدون الضرائب الدولية إلا على الهيكتارات الترابية ولا يدفعوا على ما نتج منها من الحبوب إلا ما جلب للأسواق ويباع بها يا جناب الوالي؟ نحن أهالي سوف لسنا كسكان بسكرة وجلال وورقلة ووادي ريغ أرباب النخيل الكثير يجلبون تمرهم للأسواق ويباع بها يا جناب الوالي، أقسمت عليك وعلى أمثالك الأحرار أن لو اطلعتم عنا يوم غراسة النخيل وما يحصل لنا من التعب والضنى إلا أسقطتم عنا ما فرضه أسلافكم علينا يا جناب الوالي ترى الواحد منا يجتهد في نقل الرمال على ظهره ودابته ليله ونهاره سنة كاملة ليحصل بقعة يغرس بها نخلة واحدة وذلك من كثرة الرمال وعمق الماء رغم المصاريف التي تقوم بها أيام التربية. يا جناب الوالي ها هي شكوانا رفعناها إليك ومرغوبنا لا يخفى عليك عسى نفحة منك تساعدنا على ترك هاته الضريبة الثانية وتقبلوا فائق احتراماتنا الخاصة.

مداوروش ١٩٢٨
سلمي سالم بن الطاهر

1 – **الشهاب** : ، ع 154 ،س 4 ، الخميس 17 محرم 1347 هـ / 05 جويلية 1928م .

الملحق رقم – 06 – رسالة تأييد من أعيان الزقم لجمعية العلماء المسلمين[1]

رسالة تأييد للعلماء

1 – **الصراط السّوي** : ع 13 ،س 1، الاثنين 23 شعبان 1352هـ الموافق لـ 11 ديسمبر 1933م.

الملحق رقم –07 – رسالة تأييد واحتجاج من الشيخ إبراهيم كلكامي لجمعية العلماء [1]

من الزقم (سوف)

لما جاءتنا من بلدة الزقم (سوف) رسالة تأييد لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ممضاة بامضاءات كثيرين من الفضلاء والاعيان نشرناها ولكننا لم ننشر الامضاءات كلها لان كثيرا منها كان غير واضح ولم نستطع ان نقرأه ، وهذا هو عذرنا للاخ الفاضل الاديب السيد ابراهيم كلكامي وغيره من السادة الذين لم نذكرهم باسمائهم ، ونرجوا بهذه المناسبة من كل من يكاتبوننا ان يكتبوا اسماءهم واضحة جلية غاية الوضوح والجلاء ، وان لا يمضوا بقلاتهم كما تمضي الصكوك وسندات الدين (البيانات)

1 – **الصراط السّوي** : ع 17، س 1، الإثنين 22 رمضان 1352 هـ / 08 جانفي 1934م .

الملحق رقم – 08– صورة تذكارية للشيخ عبد الحميد بن باديس بسوف[1]

1 – المولدي صيشي : **المرجعالسابق** ، ص67.

الملحق رقم – 09– : ذكرى وصول وفد الجمعية لمنطقة الزقم[1]

احاديث جمعية العلماء وحوادثها

وفـــد

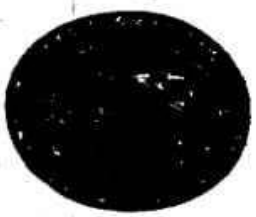

بوادي سوف ونواحيها

٣

بقلم الشيخ حمزة بوكوشة

العضو الاداري

بجمعية العلمـاء المسلمين الجزائريين

ثم غادرنا البيضة والشمس آذنة بالمغيب فصلينا المغرب بالزقم واقبلنا أهلها اقبالا رائعا خارج البلدة ثم ذهبنا للمحل الذي اعدوه لالقاء الدروس والخطب فالقى علينا الشيخ أحمد العقبي — أحد متطوعي جامع الزيتونة خطاب ترحيب نيابة عن سكان البلدة ثم ألقى الشيخ ابن باديس درسا في تفسير قوله تعالى : ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الآية ثم تكلم الشيخ عبد العزيز في ثلاث مسائل (١) جمعية العلماء (ب) أذناب الحكومة الذين ينتسبون اليها وهي برئية من أعمالهم (ج) الطرقيون وشرح المسائل الثلاث شرحا وافيا فحث الامة على اتباع جمعية العلماء وعدم الاغترار بتمهيد أذناب الحكومة وتدجيلات الطرقيين ونصح لهم بجلب مدرس يصلح بعلمه دينهم ويهذب اولادهم ثم القى الشيخ العربي التبسي درسا في قوله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة الحديث ثم قام الشيخ المبارك الميلي وألقى درسا في البداية الاسلامية وما تتطلبه وبعده قام الشيخ محمد خير الدين وتكلم عن فوائد تأسيس الشعب الجمعية ورغب من أهل الزقم تأسيس شعبة لها هنا فسروها حالا . وتناولنا العشاء تلك الليلة بالزقم وعدنا بها في صباح الجمعة توجهنا الى الوادي — وقد كان في عزمنا أن نحاضر الامة بمحل الشيخ عبد العزيز لكنا رأيها بمناسبة يوم الجمعة وهو يوم سوق البلدة يحضره الحاضر والبادي أن نحاضر وسط السوق فذهب الشيخ عبد العزيز رئيس الملحقة السيد القبطان وفاوضه في ذلك فاذن لنا فعقدنا الاجتماع بالسوق وحضره خلق كثير فالقى عليهم الشيخ ابن باديس خطابا اجتماعيا في الاخوة الاسلامية والاخوة الانسانية والروابط التي تربط الفرد بالمجتمع ثم وعظ الحاضرين الشيخ العربي التبسي وتلاه الشيخ مبارك الميلي بكلام في الشرك والتوحيد بعد ما قدمه الشيخ عبد العزيز للحاضرين

ثم تكلم كاتب هذه السطور وشكر اهالي سوف على حفاوتهم بجمعية العلماء والمتكلمين لهم وكان مما قاله : إن كنت اعجب من احد فانا اعجب من الذي حاول عرقلتنا وحد الامة بقاره والحيلولة بيننا وبينها فبينا نحن نزل لاصلاح ذات البين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقدوتنا لا يجاوز سبع رجال اذا بداعية الضلال يستجيش المئات من الرجال للاعتداء علينا وما دروى المغرور أنه بذلك يحاول الاعتداء على الله ورسوله ثم تكلم الشيخ محمد خير الدين وشكر الحاضرين ووعظهم وبعد أمرنا الناس بالانصراف حيث وقت صلاة الجمعة فذهبنا للصلاة وبعد انقضائها : دارنا طعام الغداء على مائدة الشاب السيد البشير شيحة وبعد ذهبنا لمكتب رئيس الملحقة تعهد وداعه واداء واجب الشكر له فوجدنا السيد الترجمان فقابلنا برئيس الملحقة السيد القبطان فادينا له تشكراتنا وقال له الشيخ ابن باديس قد كنت أطمئنكم كلمة الشرف بان لا يحدث اقل هرج ولا تشويش ولا انزعاج وزدتكم الا الاترحسن في هذه الديار وقد حقق الله ذلك فقال السيد القبطان نحققت ذلك وانني تركتكم وانتهى لكم رحلة سعيدة فودعناه ورددها السيد الترجمان ونحن في غاية من الاعجاب بلطفنا وظرفنا وعدنا ما لدينا استطاه السيارة اخذت لنا شعبة الوادي صورة شمسية

يتبع

اجتماع رؤساء الشعب

قد اجتمع رؤساء الشعب بجمعية العلماء في يوم الخميس رابع ذي القعدة حسب استدعاء الكاتب العام المنشور بالعدد ٩٣

وقد علمنا ما جرى به رجال الشعب من صالة تنظيمية . ولكننا ننتظر أخبار شعب العاصمة الجزائرية والوهرانية . وهنالك نعلم القراء بما تم في هذه الاجتماعات الهامة والتي نرجو عملا بمهمة النشر والاذاعة أن يكون ما يعدها أهم مما

دار الارقم

من شبان محمد صلى الله عليه وسلم

حلب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فان بلدة الشئون الاسلامية لدار الارقم في الشهباء من شباب محمد صلى الله عليه وسلم تعلن لكافة الاقطار العربية والاسلامية أنها تلوح في كل اسبوع نشرة عن اخبار العالمين الاسلامي والعربي تلقيها في مقر ناديها ثم تطبعها في المساجد عقب صلاة الجمعة وتنشرها في الجرائد والمجلات وهي ترمي بذلك الى احكام الصلة بين انظار العالمين الاسلامي والعربي ، ويحسن بسكان هذه الاقطار يعنون باحوال بعضهم بعضا مهما كانت دياره .

وان دار الارقم اعدت غرفة مجانية عامة للطالعة تحوي على مكتبة ضخمة فيها مكتب متنوعة وهي آخذة بالنمو والازدياد يوجد فيها الكثير من المجلات والجرائد الباحثة عن اخبار واحوال العالمين الاسلامي والعربي ، وهي ترجو من ادارة كل جريدة او مجلة او جمعية أو مؤسسة لها مساس باخبار هذين العالمين أو تهتم بنشر العلوم والمعارف ان تتكرم باهداء مكتبة دار الارقم مطبوعاتها ومنشوراتها ونشراتها كي يطلع عليها الناس فتعم فائدتهم ويتصل العلم من مداركم فتتقارب وجهات نظر الانسانية ، ويكون لهم الفضل الاكبر بذلك .

هذا وان ادارة دار الارقم تتقدم بخالص شكرها وجزيل امتنانها الى كل من يساعدها ويساهم في هذا العمل الخيري وان لهم من الله واسع الاجر وهو من وراء القصد . والسلام .

العنوان

غرفة المطالعة المجانية لدار الارقم بحلب : سوريا

رئيس بلدة الشئون الاسلامية عبد الرحمن الاميري

رئيس النادي المحاسبي عبد الوهاب التوجي

47

صفحة ٤ | البصائر

1 – **البصائر** : العدد 95 ، س 3 ، الجمعة 12 ذو القعدة 1356هـ / 14 جانفي 1938.

الملحق رقم –10– : مقر مدرسة الاصلاح بالزقم[1]

1 – خرجة ميدانية إلى قرية الزقم : صورة ملتقطة بالهاتف النقال ، يوم 03 ماي 2023 ، على الساعة 10:58 صباحا.

الملحق رقم – 11– : جدول يوضح خلايا التنظيم المدني بوادي سوف[1]

الرقم	اسم مسؤول الخلية	المنطقة	الرقم	اسم مسؤول الخلية	المنطقة
01	الحاج البشير غربي	حاسي خليفة	11	محي الدين ينبوعي	تغزوت
02	حمي بلقاسم	المقرن	12	علي بن اعمارة (شيدة)	الدبيلة
03	البشير بن موسى	الوادي	13	عبد الرحمان معمري	الزقم
04	شوشان سلطاني	البياضة	14	بلقاسم دردقة	ليزيرق
05	العربي بني	قمار	15	الطاهر تجيني	البهيمة- حساني عبد الكريم
06	البشير جاب الله	الرقيبة	16	الصغير قابوسة	الدريميني
07	علية العزوزي أو حوامدي الجديد	الطريفاوي	17	الطالب عمار حامدي	الجديدة
08	البشير تونسي	الرباح	18	الساسي بن رزق حوامدي	خبنة الطريفاوي
09	حسين حمادي	النخلة	19	احمد محدة	وادي العلندة اميه ونسة
10	بن اعمارة فرحات (بوريقة)	كوينين	20	الجموعي تريكي	ورماس

1 – علي غنابزية : **فصول ودراسات في تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية بوادي سوف 1854– 1962**، ص 192.

قائمة المصادر

والمراجع

أولا- المصادر:

أ - القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

01 - الآية 78من سورة الإسراء .

02 - الآية 132 من سورة البقرة.

ب- السنّة النبوية:

03 -أبو زكرياء يحي بن شرف النووي: **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين** ، تح: خليل الخطيب ، دار الكتاب الحديث ، الجزائر ، 2010م .

جـ - الكتب المطبوعة:

04- العدواني محمد بن عمر: **تاريخ العدواني** ، تح: أبوالقاسم سعدالله ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.1996،1

05- العوامر ابراهيم محمد الساسي:**الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع: الجيلاني العوامر ،منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر،2007.

د- المذكرات الشخصية:

06 - خيرالدين محمد: **مذكرات**، ج 1، مطبعة دحلب، حسين داي الجزائر،1985م .

هـ- الجرائـد:

- **الشهاب:**

07- السنة الثالثة : العدد: 144 .

08 - السنة الرابعة : العدد :154 .

- **الصراط السّوي**

09- السنة الأولى : العدد 13 ، 17.

- **جريدة البصائر:**

10- السنة الثانية : العدد 60 .

11- السنة الثالثة: العدد: 93، 94، 95 ، 113، 121.

12 - السنة الرابعة: العدد: 178.

و- المقابلات الشفوية:

13-لقاء مع الشيخ أحمد منصوري ، في بيته : يوم السبت 11 فيفري 2023 م على الرابعة والنصف مساء .

ثانيا – المراجـع باللغة العربية:

أ- الكتب المطبوعة:

14 - بالهادف بن سالم: **سوف تاريخ وثقافة** ، مطبعة الوليد ، 2007.

15 - بوليفة أحمد شوقي : **أضواء على بلدة الزقم التاريخية مابين القرن 12 والقرن 20**، مديرية الثقافة لولاية الوادي ، 2013 م.

16 - تامة محمد رشيد: **حاسي خلفية تاريخا وثقافة واجتماعا بلدة رجل القرآن سي لمين غمام** ، مطبعة سخري ، الوادي ، الجزائر ، 2012م.

17 - جمعية التراث للتواصل الثقافية بحي الهمايسة : **محاضرات الملتقى الوطني الأول حول " الهوية الصوفية وواقعهاالمعاصر** " ، 30/29 مارس 2015 ، مكتبة البلدية ، حاسي خليفة .

18 - حرازم علي : جواهر **المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس أحمد التجاني** ، دار سالم الحبيب للنشر ، تغزوت ، الوادي ، 2009.

19- الخطيب أحمد: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الاصلاحي في الجزائر** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1985م .

20- زبادية عبدالقادر: **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 2010.

21- سعد الله أبو القاسم: **أفكار جامحة** ، **المؤسسة الوطنية للكتاب** ، الجزائر ، 1988.

22- (ـــ) ، (ـــ) : **تـاريخ الجزائـر الثقـافي** ،ج 4، دار الغـرب الاسـلامي ، بيـروت، ط 1 1998.،

23- (ـــ) ،(ـــ) : **تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج 5 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998.

24- العمامرة سعد: **قاموس الشهيد لمنطقة سوف ولاية الوادي** ، دار هومة للطباعة والنشر .

25- (ـــ) ،(ـــ): **شهداء من بلادي الجزائر** ، ،مطبعة مزوار ، ،2005.

26-(ـــ) ،(ـــ) ومنصوري أحمد بن الطاهر :**أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب** ، **جمعية الجماعة السوفية** ، شركة مزوار للطباعة والنشر .

27- غنابزية علي: **فصول ودراسات في تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية بوادي سوف 1854- 1962 م** ، سامي للطباعة والنشر ،الوادي ، ط1 ، 2022 .

28- قمعون عاشوري: **العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة (حمزة شنوف) 1907-1947م** ، مطبعة سخري ، الوادي ،الجزائر ، 2012.

29- مفتاح عبدالباقي: **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه** ، الوليد للنشر ، كونين ، الوادي ، تق: عبدالرحمان طالب ، 1987م.

30- منصوري أحمد بن الطاهر: **الدر المرصوف في تاريخ سوف** ،ج1، مكتبة البصائر ، 2000 م .

ب- الكتب غير المطبوعة:

31- صيشي المولدي: **اللجة أم القرى بسوف** ، (د ،ط).

ج- الرسائل والاطروحات الجامعية :

- **أطروحات الدكتوراه :**

32- زغوان يوسف: **الجهود العلمية والثقافية لعلماء وادي سوف و انعكاساتها على المجتمع الجزائري (1962-1988م)**، أطروحة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر ، جامعة الوادي ،20212022م .

33- غنابزية علي: **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300هـ – 1374 هـ / 1882م- 1954 م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر ، 2008-2009م .

34- قدع محمد العيد: **الروابط الاجتماعية والثقافية بين إقليمي وادي سوف والجنوب التونسي (1881-1962م)**،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ ،تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر، جامعة الوادي ، 2019-2020م .

رسائل الماجستير :

35- بريك الإمام: **الثورة الجزائرية في وادي سوف 1954- 1962 م** ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة 08 ماي 1945 ، قالمة ، 2014/2013 م.

36- بن موسى موسى : **الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها 1900-1939 م** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2005-2006 م.

37- زغوان يوسف: **التعليم العربي الحر في وادي سوف (1931- 1962 م) من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية** ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، تخصص تاريخ حديث ومعاصر ، جامعة الوادي ، 2014-2015 م .

38- زقب عثمان: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918-1947م وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2006/2005م.

39- عمان سعيدة: **التربية والتعليم بوادي سوف (1900- 1960 م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر ، المدرسة العليا للأساتذة ، بوزريعة، 2008-2009م.

40- غنابزية علي: **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13 هـ / 19 م** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر ، 2001-2002م .

مذكرات الماستر :

41- بن بردي الزبير: **الحياة العلمية في منطقة وادي سوف وعلاقتها بتونس (1317-1358 هـ / 1900-1939)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص الاستعمار وحركات التحرر في إفريقيا بين القرنين 15 و20 م ، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية ، أدرار ، 2014/2013 م.

42- شويخ إبراهيم : **الرحلات العلمية وأثرها في الحياة الثقافية بمنطقة وادي سوف (1931-1969م)**، مذكرة مكملة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر ، جامعة الشهيد حمة لخضر ، الوادي ، 2017-2018 م .

43- لعويد مصطفى لمين: **الدور الاصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف ووادي ريغ** ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي ، 2015-2016م .

44- مسعودي حنان :**الحركة الاصلاحية بوادي سوف 1918-1956م** ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2014-2015م.

د – المجّلات والجرائد والمقالات :

45- بلعزوز العربي: **نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجنوب الجزائري وأحداث وادي سوف (1937-1938م) من خلال تقارير عسكرية** ، مجلة عصور الجريدة ، مج 12، ع 1 ، ماي 2022، جامعة الشلف .

46- بن موسى موسى : **جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف بين التحامل الاستعماري والتدافع الطرقي (1931- 1937م)**، مجلة البحوث والدراسات ، ع 16 ، السنة العاشرة ، 2013 .

47- حميدي أبو بكر الصديق: **التواصل الاجتماعي بين وادي سوف وتونس** ، جامعة المسيلة .

48- زواري أحمد علي: العلاّمة **محمد عزالدين عباسي حياته وجهوده العلمية ، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية** ، مج 7 ، ع 01، ماي 2021م ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي .

49- عثماني الجباري: منظومة التسمية في مجتمع وادي سوف خلال الفترة(1882-1937م)،مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ، العدد 4 ،جامعة الوادي ،.2014

50- عوادي عزام عبدالقادر: **وضعية المهاجرين السوافة بتونس العاصمة خلال الفترة الاستعمارية (1912- 1962م)**، مجلة الرواق ، ع1 ، جوان 2015م .

51- غنابزية علي: **دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم بين الماضي والحاضر (مجتمع وادي سوف أنموذجا)**، مجلة البحوث والدراسات ، ع 4، السنة الرابعة ، المركز الجامعي بالوادي ، الجزائر ، 2007 .

52-(ـــ) ،(ـــ): **مساهمات علماء سوف في الحركة الصحفية الوطنية مابين 1920-1938م** ، مجلة البحوث والدّراسات ، ع 1 ، أفريل 2004 ، المركز الجامعي ، الوادي .

53- قديري مختار: **المدارس التعليمية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي " مدرسة الاصلاح بحاضرة الزقم – وادي سوف –** " ، نوفمبر 2020 ،جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي.

54- مقدود البشير: **التعليم الفرنسي بمنطقة سوف خلال العهد الاستعماري بين الرفضوالتأثير** ، مجلة المعارف للبحوث و الدّراسات،ع 4، جامعة الشهيد حمة لخضر ، الوادي .

هـ- المواقع الالكترونية :

55- الموقع الالكتروني: زيارة الشيخ عبدالحميد بن باديس لوادي سوف سنة 1937، https://ouadisoufnew.blogspot.com، تاريخ النشر : 08 جانفي 2013، متاح يوم : 26فيفري 2023، العاشرة صباحا .

56- إبراهيم مياسي : **الامامعبدالحميدبن باديس في سوف** https://binbadis.net/archives/1941/amp،

57- موقع الكتروني: زيارة الشيخ عبدالحميد بن باديس إلى سوف – الحلقة الأولى (1)، https://guemar.org/ ،

ثالثا – المراجع الأجنبية:

58- Nadjah Ahmed:**LeSoufdesOasis**, Edition de la maison des livres, Alger, 1971.

فـهرس الموضوعـات

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

الاهداء

مقدمة : .....أ

الفصل التمهيدي:الإطار التاريخي والجغرافي لمنطقة الزقم

أولا – الإطار التاريخي :.....**02**

1- استقرار قبيلة عدوان بأرض سوف:.....02

2- قصور قبيلة عدوان بالجردانية:.....03

3 – قصور قبيلة عدوان بوادي سوف ونقباؤها:.....04

4- تسمية المنطقة:.....05

5- سكان الزقم: 06

ثانيا- الإطار الجغرافي للمنطقة : **09**

1- موقع الزقم: 09

2- التضاريس :.....10

الفصل الأول: الوضع الثقافي في منطقة وادي سوف مطلع القرن العشرين

أولا- الطرق الصوفية: **12**

1- الطريقة القادرية : 12

2- الطريقة التجانية : 13

3- الطريقة الرحمانية (العزوزية): 14

ثانيا- المساجد والمكتبات: 15

1- المساجد: 15

2- المكتبات: 16

ثالثا- التعليم في وادي سوف: 18

1 - التعليم العربي الإسلامي: 19

أ - التعليم القرآني: 19

ب- التعليم في المدارس العربية : 24

2- التعليم الفرنسي 25

الفصل الثاني: الحركة الاصلاحية المحافظة في منطقة الزقم(1900-1937م)

أولا - عوامل ظهور الحركة الإصلاحية:..... 31

1- عامل الهجرة: 31

2- النخبة ودورها في ظهور الحركة الإصلاحية:.....34

3- السياسة التعليمية الفرنسية:.....35

4- انتشار بعض المفاسد الاجتماعية: 35

ثانيا: أهم الشخصيات الإصلاحية بمنطقة الزقم:.....36

1-إبراهيم بن السلمي: 36

2- محمد الساسي معامير : 37

3- الشيخ أحمد الغولي :.....39

4- الشيخ مسعود عباسي: 39

5- الشيخ عبد الرحمان معمري:.....40

6-الشيخ يونس معمري:.....41

7- الشيخ ابراهيم كلكامي:.....41

8- الشيخ محمد بدير: 42

9- الشيخ محمد العربي خطراوي: 43

10- الشيخ عبد العزيز عصامي:.....44

ثالثا - ميادين نشاط الحركة الإصلاحية بالزقم:.....45

1- الميدان التعليمي:.....45

2- ميدان الإمامة والخطب الجمعية والعيدية.....46

3- الميدان الاجتماعي: 46

4- الدروس الليلية (بين المغرب والعشاء):.....48

5- الميدان الصحفي:.....49

الفصل الثالث:تطور الحركة الاصلاحية بمنطقة الزقم(1937-1957م)

أولا - زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين للمنطقة وانعكاساتها:..... 54

1- نزول الوفد بأرض سوف: 54

2- نزول الوفد بقرية الزقم: 56

3- تأسيس شعبة الزقم ونشاطاتها: 57

ثانيا: أحداث أفريل 1938م بوادي سوف وانعكاساتها على منطقة الزقم: 60

ثالثا- تأسيس مدرسة الاصلاح ودورها الريادي بمنطقة الزقم:.....64

1- ظروف وعوامل نشأة المدرسة : 64

2- تأسيس المدرسة وطبيعة شيوخها: 66

3- مقر المدرسة وطبيعة تلاميذها : 67

4- منهج المدرسة وأطوارها التعليمية: 69

5- موقف الاستعمار الفرنسي من نشاطات المدرسة : 71

رابعا - التعليم الفرنسي بمنطقة الزقم وموقف الاهالي منه:..... 73

خامسا – مساهمة رجال الإصلاح بالمنطقة في الحركة الوطنية والثورة التحريرية:.....79

1-المساهمة في نشاط الحركة الوطنية.....79

2- الحركة الكشفية بالمنطقة: 80

3- المساهمة في دعم الثورة التحريرية المباركة:.....81

4 – موقف الإدارة الفرنسية من دعم الاصلاحيين للثورة: 82

خاتمة.....86

الملاحق.....89

قائمة المصادر والمراجع.....101

فهرس الموضوعات 109

ملخص المذكرة باللغة العربية

تتناول الرسالة موضوع الحركة الاصلاحية بمنطقة الزقم بوادي سوف 1900-1957م، حيث تمحورت الاشكالية حول طبيعة هذه الحرة وكيفية تطورها ، وللإجابة على الاشكالية طُرحت بعض التساؤلات الفرعية والتي انقسم البحث من خلالها إلى مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول .

ففي الفصل التمهيدي تم إبراز الاطار التاريخي والجغرافي لمنطقة الزقم ، وتناول الفصل الأول الوضع الثقافي لمنطقة وادي سوف مطلع القرن العشرين، أما الفصل الثاني فقد تناولنا فيه موضوع الحركة الاصلاحية المحافظة بمنطقة الزقم 1900 – 1937 م، من خلال التركيز على أهم الشخصيات الاصلاحية وميادين نشاطها .

وفي الفصل الثالث تطرقنا إلى تطور الحركة الاصلاحية بالزقم 1937 – 1957 م، من خلال التركيز على نتائج زيارة وفد جمعية العلماء للمنطقة ، ودور مدرسة الاصلاح ومساهمة الرجال المصلحين في دعم النشاط الوطني والثوري .

أما الخاتمة فقد احتوت على مجموعة من النقاط في شكل استنتاجات دقيقة حول ما توصلنا إليه من نتائج .

وتضمنت الملاحق مجموعة من الصور والمقالات الصحفية التي توضح بعضالمسائل الخاصة بموضوع البحث.

ملخص المذكرة باللغة الأجنبية (الفرنسية):

Le résumé :

Notre travail vise à étudier le mouvement de réforme dans la région de Z'goum (Oued Souf) entre 1900 et 1957 , notre problématique se base sur la nature de ce mouvement et son développement et pour la répondre, on a posé d'autres questions secondaires qui divise notre travail en 03 parties .

Une introduction, préambule et 3 chapitres on concentre sur le cadre historique et géographique da la région citée.

Pour les 03 chapitres : D'abord, on traite la situation culturelle à oued Souf à l'aube de 20ème siècle Ensuite, on parle du mouvement de réforme à Z'goum en 1937 en concentrant sur les personnages fameux et leurs domaines d'activité.

Dans la 3ème chapitre, on cite le développement de ce mouvement dans cette région entre 1937 et 1957 en parlant des résultats de la visite des savants musulmans et le rôle de l'école de réforme et leurs contributions dans le soutien de la révolution de libération. En conclusion, elle résume diffentes déductions acquises Les annexes englobent un ensemble des images et des rubriques qui montrent certaines questions du thème.